

كتب الفراشة - القِصص العالمية



رحلة إلى قلب الأرض



كتب الفراشة - القصص العالمية

رحلة إلى قلب الأرض



تأليف: جول-فريتز
ترجمة: هاني تابري



مكتبة لبنات ناشرون

مَكْتَبَةُ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ ش.م.ع.

زقاق البلاط - ص.ب. : ٩٢٣٢ - ١١

بَیروت - لَبْنَانَ

وُكَلَاءُ وَمُوزَعُونَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ

© الحَقُوقُ الْكَامِلَةُ مَحْفُوظَةٌ

لِمَكْتَبَةِ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ ش.م.ع.

الطَبْعَةُ الْأُولَى ١٩٩٥

رَقْمُ الْكِتَابِ 01 C 196819

طُبِعَ فِي لَبْنَانَ



مقدمة

كَانَ جُولُ قِرْنِ طَالِيَا فِي كُتَيْبَةِ الْحُقُوقِ عِنْدَمَا نَشَرَ، فِي إِحْدَى الصُّحُفِ الْفَرَنْسِيَّةِ، بَضْعَ حِكَايَاتٍ تَدُورُ حَوْلَ الْأَسْفَارِ وَالرَّحَلَاتِ. وَلَمَّا لَاقَتْ هَذِهِ الْحِكَايَاتُ نَجَاحًا، تَخَلَّى قِرْنٌ عَنِ دِرَاسَةِ الْحُقُوقِ وَاتَّخَذَ الْكِتَابَةَ مِهْنَةً لَهُ. وَلَمَّا تُوفِّيَ عَامَ ١٩٠٥ كَانَ قَدْ أَصْبَحَ أَشْهَرَ كَاتِبٍ حَوْلَ مَوَاضِيَعِ الرَّحَلَاتِ وَالْقَصَصِ الْعِلْمِيِّ بِلا مُنَازَعٍ. وَهَذَا الْكِتَابُ «رِحْلَةٌ إِلَى قَلْبِ الْأَرْضِ»، هُوَ ثَانِي رِوَايَةِ أَلْفَهَا، وَهِيَ قِصَّةُ مُغَامَرَاتٍ مُثِيرَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الْوَاقِعِ وَالْخَيَالِ فِي أُسْلُوبٍ آسِرٍ.

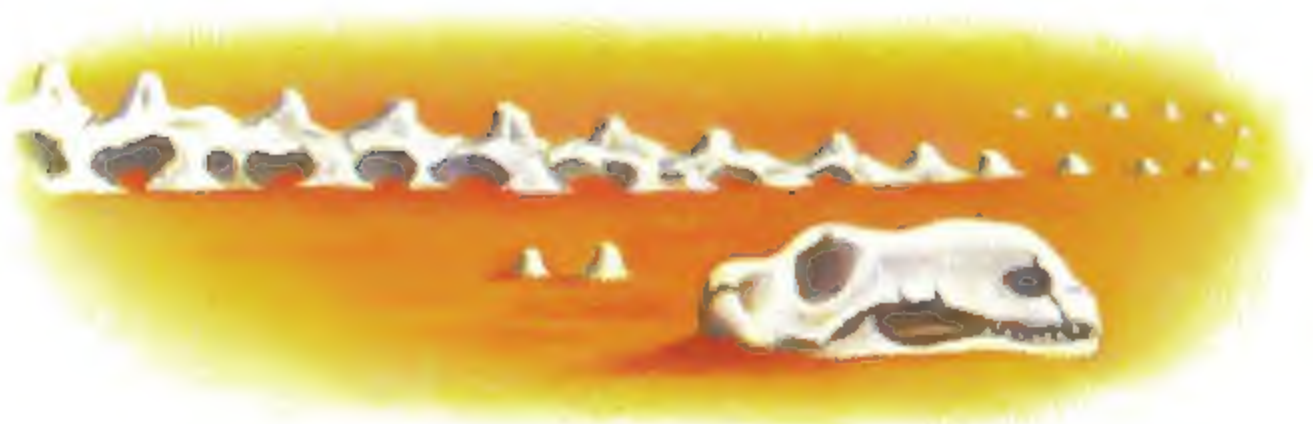
تَبْدَأُ الْمُغَامَرَةُ بِظُهُورِ وَرَقَةٍ قَدِيمَةٍ دَاخِلَ كِتَابٍ يَعُودُ تَارِيخُهُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ. وَقَدْ قَامَ رَاوِيَةُ الْقِصَّةِ أَكْسِلُ وَعَمَّهُ الْعَالِمُ الْجِيُولُوجِيُّ الْغَرِيبُ الْأَطْوَارِ الْبُرُوفْسُورُ لِيدَنْبُرْكِ بِمُحَاوَلَاتٍ عَدِيدَةٍ لِقِرَاءَةِ الْوَرَقَةِ وَتَفْسِيرِ رُمُوزِهَا. وَلَمَّا تَوَصَّلَا إِلَى أَنَّ كَاتِبَهَا هُوَ عَالِمٌ أَيْسَلَنْدِيٌّ مِنَ الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ وَيَصِفُ فِيهَا كَيْفِيَّةَ الْوُصُولِ إِلَى قَلْبِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ، قَرَّرَ الْبُرُوفْسُورُ، بِحِمَاسٍ بَالِغٍ، الْقِيَامَ بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ الْاسْتِكْشَافِيَّةِ مَعَ ابْنِ أَخِيهِ، أَكْسِلِ، بِالرَّغْمِ مِنَ الْمَخَافَةِ الَّتِي أَبْدَاهَا هَذَا الْآخِرُ.

فِي أَيْسَلَنْدَا، اسْتَعَانَا بِخِبْرَةِ دَلِيلِ أَيْسَلَنْدِيٍّ شُجَاعٍ وَأَمِينٍ يُدْعَى هَانَزٍ، رَافَقَهُمَا خِلَالَ الرِّحْلَةِ وَكَانَ خَيْرَ عَوْنٍ لَهُمَا. وَفِي أَعْمَاقِ الطَّبَقَاتِ -تَحْتَ الْأَرْضِ- اكْتَشَفَ الثَّلَاثَةُ عَالَمًا قَائِمًا بِذَاتِهِ يَفُوقُ كُلَّ تَصَوُّرٍ، وَلَا يَمُتُّ بِصِلَةٍ إِلَى حَيَاةِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ الَّذِي عَاشُوا فِيهِ. فَهَنَّاكَ غَابَاتٌ مِنْ فُطُورٍ عِمْلَاقَةٍ، وَمُحِيطَاتٌ مُتَرَامِيَةٌ الْأَطْرَافِ، وَقُبُبٌ

سَمَويَّةٌ غَريبةٌ، ورَأوا حَيَواناتٍ وكائِناتٍ كائِنَتِ قَدِ انقَرَضَتِ مِن وَجِهِ الكُرَةِ الأَرَضِيَّةِ مُنْذُ عَصْرِ الجَلِيدِ.

ويَمُرُّ المُغامِرونَ الثَّلاثَةُ، خِلالَ الرِّحَلَةِ، في أَوَقاتٍ عَصِيبَةٍ جِدًّا نُحِسُ فيها أَنَّ أَمَلَهُمْ في العُودَةِ إلى وَجِهِ الأَرْضِ ضَيِّلُ جِدًّا. فَقَدْ ضَلُّوا طَريقَهُمْ مَرَّاتٍ عِدَّةً، وَضَرَبَتْهُمُ عاصِفَةٌ كَهَرَبائيَّةٌ صاعِقَةٌ، وَكَادَتِ الوُحُوشُ الجَبَّارَةُ تَلْتَهُمُهُمْ، وَجَرَفَتْهُمُ التَّيَّاراتُ المائيَّةُ وَحَمَلَتْ مَعَهَا كُلَّ ما لَدَيْهِمْ مِنْ أَعْتِدَةٍ وَزادِ، فَأَحَسُّوا بِدُنُوِّ الأَجَلِ...

لَيْسَتْ «رِحَلَةُ إلى قَلْبِ الأَرْضِ» رِوايةٌ مُغامِراتٍ فائِقَةٍ وَأَحْداثٍ مُثيرةٍ فَحَسِبْتُ، إِنَّمَا هِيَ أَيْضًا تُبْرِزُ أَهمِّيَّةَ الشَّجاعةِ وَأَثَرَ الصَّدَاقَةِ والتَّعاوُنِ. فَالرُّجُلُ الثَّلاثَةُ خاضُوا مَعْرَكَتَهُمُ المُتواصِلَةَ ضِدَّ قُوى الطَّبيعَةِ الهائِلَةِ مُتَّحِدِينَ مُتَماسِكِينَ، فَصَمَدُوا وانتَصَرُوا، وَخَرَجُوا أَحياءَ لِيَنْقُلُوا لَنَا إِحدى أَغْرِبِ القِصَصِ الَّتِي عَرَفَها تارِيخُ الآدَابِ العالَمِيَّةِ.



رَحْلَةٌ إِلَى قَلْبِ الْأَرْضِ

عَمِّي البروفسورُ لِيدَنْبُرْكَ

بَعْدَ ظَهْرِ الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ مَآيُو، ١٨٦٣، عَادَ عَمِّي البروفسورُ لِيدَنْبُرْكَ مُسْرِعًا إِلَى بَيْتِنَا الصَّغِيرِ فِي كُونِغْسْتِرَاسْ، هَامْبُورْجَ، وَكَانَتْ تَبْدُو عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الاضطرابِ، مِمَّا أَثَارَ الْقَلْقَ لَدَى أَهْلِ الْبَيْتِ جَمِيعًا.

قَالَتِ الطَّاهِيَةُ مَرَّتًا: «وَيْحِي! لِمَاذَا عَادَ مُبَكَّرًا؟ لَمْ أَتَمِّ إِعْدَادَ عَشَائِهِ بَعْدُ.»

أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِتَحْمُلِ طِبَاعِ عَمِّي الْغَرِيبَةِ فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالَاتِ، فَقَرَّرْتُ الْانْسِحَابَ إِلَى غُرْفَتِي فِي الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ. وَلَكِنْ صَرَخَةً مُدَوِّيَةً انْطَلَقْتُ مِنْ غُرْفَةِ الْمَكْتَبِ وَأَوْقَفْتَنِي عَلَى أُولَى دَرَجَاتِ السُّلَمِ: «أَكْسِلْ، تَعَالَ حَالًا.»

اسْتَدْرْتُ صَاحِرًا وَدَخَلْتُ الْغُرْفَةَ لِأَجِدَ عَمِّي وَرَاءَ مَكْتَبِهِ يَتَأَمَّلُ كِتَابًا قَدِيمًا.



وما إن رآني حتى هتَفَ: «أنظر إلى هذا الكتابِ الرائعِ. إنه مُدهِشٌ، فتاريخُه يعودُ إلى أكثرَ من سِتِّمِائَةِ سَنَةٍ.»

ولَمَّا أَوَّماً إِلَيَّ اقْتَرَبْتُ وَأَنَا أُسَائِلُ نَفْسِي عَنْ سَبَبِ شَغْفِهِ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُهْتَرِي الَّذِي كَادَ الْبَلَى يَأْكُلُ غِلَافَهُ الْجِلْدِيَّ.

سَأَلْتُهُ بِدَاعِي الْمُجَامَلَةِ لَا بِدَاعِي الْفُضُولِ: «وَمَا هُوَ مَوْضُوعُهُ؟»
وَلَمْ أَسْمَعْ أَيَّ إِجَابَةٍ إِذْ كَانَ الْبَرُوفْسُورُ غَارِقًا فِي تَأَمُّلٍ تُحَفِّتُهُ الْجَدِيدَةِ.

الْوَرَقَةُ الْغَرِيبَةُ

بَيْنَمَا كَانَ عَمِّي يُقَلِّبُ الْكِتَابَ بِاهْتِمَامٍ بِالْغِ سَقَطَتْ مِنْ بَيْنِ صَفْحَاتِهِ وَرَقَةٌ قَدِيمَةٌ مُبَقَّعَةٌ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى الْأَرْضِ، فَالْتَقَطَهَا عَمِّي بِسُرْعَةٍ.

بَعْدَ أَنْ تَفَحَّصَهَا مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهَا هَتَفَ: «هَذِهِ الْكِتَابَةُ - يَا بُنَيَّ - بِاللُّغَةِ الْأَيْسَلَنْدِيَّةِ الْقَدِيمَةِ. وَلَكِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ عَلَى شَكْلِ رُمُوزٍ.» ثُمَّ أَطْرَقَ قَلِيلًا وَأَضَافَ: «لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ سِرٌّ. فَمَا هُوَ مَعْنَى هَذِهِ الْكِتَابَةِ؟»

لَمْ أَكُنْ قَادِرًا عَلَى إِجَابَتِهِ بِالطَّبَعِ، وَحَتَّى إِنِّي لَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْوَرَقَةِ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَسْأَلُنِي! وَكُنْتُ مُعْتَادًا عَلَى سَمَاعِ عَمِّي يُخَاطِبُ نَفْسَهُ هَكَذَا. وَهَذِهِ هِيَ إِحْدَى عَادَاتِهِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي أَعْطَتْ مُحَاضَرَاتِهِ فِي الْجَامِعَةِ تِلْكَ الشُّهُرَةَ.

فِي الْوَاقِعِ، كَانَتْ غَرَائِبُ أَطْوَارِ عَمِّي الْبَرُوفْسُورِ مِنْ مُمَيِّزَاتِ مُحَاضَرَاتِهِ، فَكَانَ طُلَّابُ الْجَامِعَةِ يَحْتَشِدُونَ لِسَمَاعِ تِلْكَ الْمُحَاضَرَاتِ. وَمِنْ الْإِنْصَافِ الْقَوْلُ إِنَّهُ كَانَ أَيْضًا مَرَجِعًا عِلْمِيًّا قَدًّا فِي أُمُورِ الْجِيُولُوجِيَا. وَكَانَ كِبَارُ الْعُلَمَاءِ يَزُورُونَهُ لِيَتَزَوَّدُوا مِنْ عِلْمِهِ الْغَزِيرِ الَّذِي مَكَّنَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِاِكْتِشَافَاتٍ عِلْمِيَّةٍ هَامَّةٍ.

كَانَ يُعَامِلُنِي بِلُطْفٍ، وَلَكِنْ عَلَى طَرِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ. وَكُنْتُ أَنَا أَيْضًا شَغُوفًا بِالْجِيُولُوجِيَا، فَمَا أَحْسَسْتُ يَوْمًا بِالْوَحْدَةِ وَأَنَا بِصُحْبَةِ الْأَحْجَارِ وَالصُّخُورِ. وَبَعْدَ

مَوْتِ وَالِدَيَّ، انْتَقَلْتُ لِلْعَيْشِ مَعَ عَمِّي، وَكُنْتُ مَحْظُوظًا إِذْ أُتِيحَتْ لِي فُرْصَةٌ مُسَاعَدَتِهِ فِي عَمَلِهِ.

رَأَيْتُ عَمِّي الْبُرُوفْسُورَ يَرُوحُ وَيَجِيءُ فِي الْغُرْفَةِ، وَهُوَ يَتَفَحَّصُ الْوَرَقَةَ، مُحَاوِلًا إِنْجَادَ دَلِيلٍ يُرْشِدُهُ إِلَى فَكِّ رُمُوزِهَا. كَانَ رَجُلًا طَوِيلًا وَنَحِيلًا، مُفْعَمًا بِالنَّشَاطِ. أَخَذَ عَمِّي يُسْرِعُ وَيُوسِّعُ خُطَوَاتِهِ، فَقَدْ كَانَ إِنْسَانًا قَلِيلَ الصَّبْرِ، يُحِبُّ أَنْ يُنْجِزَ أُمُورَهُ بِسُرْعَةٍ.





زَعَقَ عَمِّي فَجَاءَتْ: «لَقَدْ كُتِبَتِ الْوَرَقَةُ بِشَكْلِ لُغْزٍ، يَقُومُ عَلَى فَكِّ حُرُوفِ الْكَلِمَاتِ.
وَعَلَيْنَا، لِنَفْهَمَ الْمَعْنَى، أَنْ نُعِيدَ تَرْتِيبَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ. إِنِّي مُصَمِّمٌ عَلَى حَلِّ هَذَا اللَّغْزِ.
لَنْ أَكُلَ وَلَنْ أُنَامَ حَتَّى أَتِمَّكَ مِنْ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْوَرَقَةِ.»

شَعَرْتُ بِالْقَلْقِ، لِعِلْمِي أَنَّهُ عِنْدَمَا يَكُونُ عَمِّي فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ فَإِنَّهُ -بِالْفِعْلِ-
يَعْنِي مَا يَقُولُ، فَهُوَ لَنْ يَأْكُلَ وَلَنْ يَدَعَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يَأْكُلُ قَبْلَ أَنْ يُشَبِّعَ نَهُمَ
فُضُولِهِ. لِذَلِكَ لَا زَمَّتُهُ مُتَرَقِّبًا، وَكُلِّي أَمَلٌ بِأَنْ يَجِدَ الْحَلَّ قَبْلَ مَوْعِدِ الْعِشَاءِ.

تَسَاءَلَ البروفسورُ: «مَنْ كَتَبَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ يَا ثَرَى؟ هُوَ -مِنْ دُونِ شَكٍّ- شَخْصٌ
مَلَكَ هَذَا الْكِتَابَ فِيهَا مَضَى.» ثُمَّ أَخَذَ يَتَأَمَّلُ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ بِدِقَّةٍ. وَفَجْأَةً، أَشَارَ
إِلَى عَلَامَةٍ صَغِيرَةٍ بَدَتْ لِي كَلِطْخَةٍ حَبْرٍ، وَقَالَ: «إِنَّهُ أَرْنِي سَكُنُوسِمَ، الْعَالِمُ الْإَيْسَلَنْدِيُّ
الشَّهِيرُ الَّذِي عَاشَ مُنْذُ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ.» وَدَلَّنِي عَلَى حَرْفَيْنِ بَاهِتَيْنِ بِاللُّغَةِ
الْإَيْسَلَنْدِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَهُوَ يَصِيحُ: «انْظُرْ: أ. س.»

البروفسورُ يَقَعُ فِي حَيْرَةٍ

عَادَ البروفسورُ إِلَى الْوَرَقَةِ صَامِتًا، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُهَا بِعِنَايَةٍ وَإِمْعَانٍ، فَخِلْتُ أَنَّهُ وَجَدَ
مِفْتَاحَ الْحَلِّ، وَانْتَظَرْتُ أَنْ يَقْرَأَ عَمِّي كَلِمَاتِ سَكُنُوسِمَ بِشَكْلِ صَرِيحٍ.

ثُمَّ فُوجِئْتُ بِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا ضَرَبَ الطَّاوِلَةَ بِقَبْضَةِ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا،
غَيْرُ مَعْقُولٍ! فَهَذَا لَيْسَ لَهُ مَعْنَى»، وَاسْتَدَارَ مُقْطَبًا حَاجِبِيهِ، وَخَرَجَ مِنَ الْغُرْفَةِ مُهْرُولاً،
وَهَبَطَ دَرَجَاتِ السُّلَّمِ بِلَحْظَةٍ، وَانْطَلَقَ نَحْوَ الطَّرِيقِ بِأَقْصَى سُرْعَتِهِ.

أَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ بِعُنْفٍ شَدِيدٍ هَزَّ الْبَيْتَ كُلَّهُ، فَجَاءَتْ مَرَّتًا لِتَسْتَطْلِعَ الْأَمْرَ،
وَسَأَلْتَنِي: «هَلْ ذَهَبَ؟»

فَأَجَبْتُ: «نَعَمْ، ذَهَبَ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَنَاوَلَ عِشَاءَهُ.»

فَقَالَتْ مَرَّتًا: «لِلْأَسَفِ، لَنْ يَتَنَاوَلَ أَحَدٌ مِنَّا عِشَاءَهُ.» وَعَادَتْ إِلَى الْمَطْبَخِ وَقَدْ
ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهَا أَمَارَاتُ التَّعَاسَةِ، فَهِيَ فِي خِدْمَةِ عَمِّي مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ وَتَعْرِفُ
عَادَاتِهِ وَطِبَاعَهُ.

كَيْفَ قَرَأْتُ الْوَرَقَةَ

بَعْدَ خُرُوجِ مَرَّتَا مِنَ الْغُرْفَةِ تَنَاوَلْتُ الْوَرَقَةَ، وَأَخَذْتُ أُحَاوِلُ تَرْتِيبَ الْحُرُوفِ بِشَكْلِ يَجْعَلُهَا تُؤَلَّفُ كَلِمَاتٍ. كَانَتْ الْمُحَاوَلَةُ فَاشِلَةً فَاضْطَرَرْتُ إِلَى الْاسْتِسْلَامِ يَائِسًا بَعْدَ بَضْعِ دَقَائِقٍ. ثُمَّ شَعَرْتُ بِحَرٍّ شَدِيدٍ مُزْعِجٍ، وَبَدَأَ أَنَّ جَوَّ الْغُرْفَةِ خَائِقٌ. فَالْتَقَطْتُ الْوَرَقَةَ وَأَخَذْتُ أَحْرَكُهَا كِمِرْوَحَةٍ أَمَامَ وَجْهِِي. كَانَ وَجْهُ الْوَرَقَةِ وَظَهْرُهَا يَمُرَّانِ أَمَامِي بِسُرْعَةٍ، وَقَدْ بَدَأَ لِي أَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْرَأَ كَلِمَاتٍ لَا تَبِينُ وَاضِحَةً: (Creterem... Terrestre).

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَصَابَنِي الذُّهُولُ وَالاضْطِرَابُ. لَقَدْ وَجَدْتُ الطَّرِيقَةَ! اسْتَجْمَعْتُ أَنْفَاسِي وَقَرَأْتُ الرِّسَالَةَ كَامِلَةً بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ.

ثُمَّ جَمَدْتُ فِي مَكَانِي وَقَدْ تَمَلَّكَنِي الرَّعْبُ مِمَّا اكْتَشَفْتُ. فَهَلْ هَذَا مَعْقُولٌ؟ وَهَلْ وَجَدَ إِنْسَانٌ يَمْلِكُ الشَّجَاعَةَ الْكَافِيَةَ لِيَفْعَلَ هَذَا؟ قَرَأْتُ الرِّسَالَةَ ثَانِيَةً أَمَلًا أَنْ أَكُونَ قَدْ أَخْطَأْتُ فِي قِرَاءَتِي الْأُولَى. وَلَكِنَّ النَّسِجَةَ جَاءَتْ لِتُؤَكِّدَ مَا قَرَأْتُهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، وَهُوَ مَا تَرَجَّمْتُهُ:

[أَيُّهَا الرَّحَالَةُ الشُّجَاعُ، ادْخُلْ فُوَهَةَ «سَنِيفِلْز» مِنَ الْمَنْفَذِ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ ظِلُّ «سَكَازَتَارِس» قَبْلَ شَهْرِ يُولِيُو، وَسَوْفَ تَصِلُ إِلَى وَسَطِ بَاطِنِ الْأَرْضِ. وَهَذَا مَا فَعَلْتُهُ أَنَا.

أ. س.]

سَيَظَرُّ عَلَيَّ الْهَمُّ وَالْقَلَقُ، فَقَدْ يُصَمِّمُ عَمِّي عَلَى تَنْفِيدِ هَذِهِ التَّعْلِيمَاتِ خِدْمَةً لِلْعِلْمِ! وَهَذَا يَعْنِي الْقِيَامَ بِرِحْلَةٍ تَحْفُّهَا الْأَخْطَارُ. لِذَلِكَ قَرَّرْتُ السُّكُوتَ وَعَدَمَ كَشْفِ الْأَمْرِ، حَتَّى لَا تَنْقَلِبَ حَيَاتُنَا رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ.

نَامَ الْجَمِيعُ، تِلْكَ اللَّيْلَةَ، مِنْ دُونِ تَنَاوُلِ الْعِشَاءِ، فَقَدْ كَانَ عَمِّي مُتَكَدِّرَ الْمِزَاجِ، وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ عَلَى ذِكْرِ هَذَا الْأَمْرِ الْمَادِّيِّ التَّافِيهِ أَمَامَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْمُشْغَلِ بِأُمُورِ الْعِلْمِ وَحَقَائِقِهِ.



عَمِّي يُصَابُ بِالذُّهُولِ

دَخَلْتُ غُرْفَةَ الْمَكْتَبِ فِي الصَّبَاحِ لِأَجِدَ عَمِّي هُنَاكَ. وَقَدْ تَأَكَّدْتُ - مِنْ شُحُوبِ وَجْهِهِ وَاحْمِرَارِ عَيْنَيْهِ - أَنَّهُ قَضَى اللَّيْلَةَ سَاهِرًا. لَمْ يَكُنْ قَدْ وَجَدَ سِرَّ وَرَقَةِ سَكُنُوسِم، وَهَذَا مَا جَعَلَهُ يَنْظُرُ إِلَيَّ نِظْرَةً مِلُّوْهَا الْأَسَى، فَرَثَيْتُ لِحَالِهِ وَأَخَذْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي: «هَلْ أَنَا مُصِيبٌ فِي إِخْفَائِي أَمْرَ اكْتِشَافِي لِلسِّرِّ؟ أَجَلٌ، أَجَلٌ. وَإِلَّا فَإِنَّهُ سَيَقُومُ حَتْمًا بِهَذِهِ الرَّحْلَةِ الْغَرِيبَةِ. وَلَكِنْ إِذَا تَوَصَّلَ بِنَفْسِهِ إِلَى طَرِيقَةِ قِرَاءَةِ الْوَرَقَةِ نَكُونُ قَدْ حُرِمْنَا الطَّعَامَ بِلا فَائِدَةٍ.» ثُمَّ إِنِّي كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْحَذَرَ قَدْ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَرْمِيَ بِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْمُخَاطَرَةِ.

سَأَلْتُهُ: «هَلْ تَوَصَّلْتَ، يَا عَمِّي، إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يُسَاعِدُ عَلَى فَكِّ هَذِهِ الرُّمُوزِ؟»
نَظَرَ إِلَيَّ بِانْفِعَالٍ وَأَجَابَ بِالنَّفْيِ، فَقُلْتُ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ لَدَيَّ الْجَوَابَ، وَقَدْ وُفِّقْتُ إِلَيْهِ عَرَضًا (صُدْفَةً).»



بَدَأْتُ بِشَرْحِ الرِّسَالَةِ، وَلَكِنَّ البروفسورَ أَطْلَقَ صَرْخَةً حَادَّةً قَبْلَ أَنْ أَنْهِيَ كَلَامِي.
لَقَدْ عَرَفَ آخِرًا مَا فِي الْوَرَقَةِ، فَانْفَرَجَتْ أَسَارِيرُهُ وَأَشْرَقَتْ عَيْنَاهُ وَدَبَّ فِيهِ النَّشَاطُ،
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «أَرْنِي سَكُنُوسِمَ، يَا لَكَ مِنْ عَالِمٍ!»
ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْغُرْفَةِ وَهُوَ يَقُولُ لِي: «أَخْضِرْ لِي حَقِيبَتِي الْكَبِيرَةَ، وَأَعِدَّ حَقِيبَتَكَ أَنْتَ
أَيْضًا.»

الْمُغَامَرَةُ الْجُنُونِيَّةُ

كَانَ الْعِشَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ دَسِمًا جِدًّا، فَقَدْ أَعْلَنَ عَمِّي خُطَّتَهُ لِلْقِيَامِ بِالرَّحْلَةِ الْأُسْطُورِيَّةِ
الَّتِي يَزْعُمُ سَكُنُوسِمَ أَنَّهُ قَامَ بِهَا مُنْذُ عِدَّةِ قُرُونٍ.
وَكَادَتْ الْهَوَاجِسُ تَفْتَرِسُنِي وَأَخْبَرْتُ عَمِّي بِمَخَافِي، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُصَمِّمًا، فَتَابَعَ
شَرْحَهُ بِحِمَاسٍ بِالْغِ قَائِلًا:

«اسْمَعْ يَا أَكْسِل. سَنِيْفِلْز هُوَ جَبَلٌ بُرْكَانِيٌّ يَقَعُ قُرْبَ السَّاحِلِ الْغَرْبِيِّ لِأَيْسَلَنْدَا، شَمَالِيٍّ الْعَاصِمَةِ رِيكْيَاثِيك. وَسَكَارْتَارِس هِيَ إِحْدَى قِمَمِ هَذَا الْجَبَلِ. وَلِفُوَهَةُ بُرْكَانِ سَنِيْفِلْز عِدَّةُ فُتُحَاتٍ. وَقَدْ رَأَى الْعَالِمُ سَكْنُوسِم أَنَّ يُشِيرَ إِلَى الْفُتْحَةِ الَّتِي تَقُودُ إِلَى قَلْبِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ. وَهِيَ -بِحَسَبِ وَصْفِهِ- الْفُتْحَةُ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا ظِلُّ سَكَارْتَارِس فِي آخِرِ شَهْرِ يُونِيو...»

قَاطَعْتُهُ قَائِلًا: «وَلَكِنَّ الْحَقَائِقَ الْعِلْمِيَّةَ -يَا عَمِّي- تُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ مُسْتَحِيلَةٌ!»

فَسَأَلَنِي مُسْتَغْرِبًا: «وَلِمَاذَا؟»

- إِنَّهُ بُرْكَانٌ! إِنْ دَخَلْنَا فُوهَتَهُ فَلَنْ نَتَحَمَّلَ الْحَرَارَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ سَيَكُونُ مَلِيًّا بِالْحُمَمِ.

- يَا مِسْكِينُ، إِنَّكَ تَخْشَى أَنْ تَذُوبَ!

وَبَعْدَ أَنْ قَهَقَهُ نَظَرَ إِلَيَّ بِابْتِسَامَةٍ سَاخِرَةٍ وَقَالَ: «سَأَشْرُحُ لَكَ شَيْئًا هَامًّا: إِنَّ طَبِيعَةَ قَلْبِ الْأَرْضِ مَا زَالَتْ تُحِيرُ الْعُلَمَاءَ. وَيَعْتَقِدُ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ حَارٌّ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُبْرَهِنُوا ذَلِكَ. وَأَنَا أَرَى أَنَّ جَوْفَ الْأَرْضِ لَيْسَ حَارًّا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ. وَهَذِهِ هِيَ فُرْصَتُنَا لِلتَّأَكُّدِ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْسِهِ حِسًّا.»

مَعَ أَنِّي اعْتَقَدْتُ، بِادِي الْأَمْرِ، أَنَّ البروفسورَ فَقَدَ عَقْلَهُ، فَقَدِ انْتَقَلَتْ إِلَيَّ عَذْوَى
الْفُضُولِ وَالْإِنْدِفَاعِ. وَدَارَتْ فِي رَأْسِي التَّوَقُّعَاتُ الْمُثِيرَةُ لِهَذِهِ التَّجَرِبَةِ الْفَرِيدَةِ.
وَقَدْ أَفَاقَنِي مِنْ هَذِهِ الْأَفْكَارِ صَوْتُ البروفسورِ وَهُوَ يُحَذِّرُنِي: «إِيَّاكَ أَنْ تُخْبِرَ أَحَدًا
بِمَشْرُوعِنَا. لَا أُرِيدُ أَنْ يَسْبِقَنَا أَحَدٌ إِلَى اكْتِشَافِ قَلْبِ الْأَرْضِ.»

فَسَأَلْتُهُ لِأَبْدَدَ سُكُوكِي: «هَلْ نَحْنُ ذَاهِبُونَ حَقًّا؟» وَجَاءَ جَوَابُهُ حَاسِمًا: «بِالطَّبَعِ
يَا عَزِيزِي. سَنُسَافِرُ بَعْدَ غَدٍ لِنَتِمَكَّنَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى سَنِفِلَزْ قَبْلَ نِهَايَةِ يُونِيو.
إِنَّا الْآنَ فِي السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ مَآيُو وَإِنْ تَأَخَّرْنَا فَسَيَكُونُ عَلَيْنَا الْإِنْتِظَارُ حَتَّى
الْعَامِ الْقَادِمِ.»



الاستعداد للرحلة

إنهمكنا، في اليوم التالي، في التّحضير للرحلة. وقد وصلت إلى البيت دُفَعَاتٍ مِنَ الأَعْتَدَةِ كَالْبَنَادِقِ والأَدَوَاتِ والأَجْهَزةِ العِلْمِيَّةِ المُتَنَوِّعةِ.

لَمْ تَفْهَمِ المِسْكِينَةَ مَرَّتَا شَيْئًا مِمَّا يَجْرِي، وَتَجَرَّأْتُ عَلَى سُؤَالِي: «هَلْ جُنَّ سَيِّدِي؟» فَأَوْمَأَتْ لَهَا بِرَأْسِي عَلامَةً الإِيجَابِ، ثُمَّ أَرْدَفَتْ: «وَهَلْ سَيَرَحُلُ وَيَأْخُذُكَ مَعَهُ؟» فَحَرَّكْتُ رَأْسِي نَزُولًا مَرَّةً ثَانِيَةً، وَتَابَعْتُ: «إِلَى أَيْنَ؟» فَأَشْرَتْ لَهَا بِإِصْبَعِي نَحْوَ الأَرْضِ، فَاسْتَفْهَمْتُ بِاسْتِغْرَابٍ: «هَلْ تَذْهَبَانِ إِلَى المَطْبَخِ فِي الدَّوَرِ السُّفْلِيِّ؟». عِنْدَهَا نَطَقْتُ وَقُلْتُ لَهَا: «كَلَّا بَلْ إِلَى مَا هُوَ أَعَمَقُ مِنْ ذَلِكَ!»

أَكْمَلْنَا الاستعدادَ خِلَالَ يَوْمَيْنِ مِنَ العَمَلِ الشَّاقِّ، وَغَادَرْنَا هَامْبُورْجَ صَبَاحَ الثَّامِنِ والعِشْرِينَ مِنْ مَايو.

بَدْءُ الرَّحْلَةِ

سَافَرْنَا مِنْ هَامْبُورْجَ بَرًّا ثُمَّ بَحْرًا إِلَى أَنْ رَسَتْ سَفِينَتُنَا فِي مِيناءِ رِيكْيَاْفِيكِ فِي أَيْسْلَنْدَا. وَمَعَ أَنَّ عَمِّي كَانَ شَاجِبًا مِنَ التَّعَبِ الَّذِي أَصَابَهُ خِلَالَ السَّفَرِ، فَإِنَّهُ بَدَأَ مُتَحَمِّسًا وَرَاضِيًا.

أَبْدَيْتُ رَغْبَةً فِي رُؤْيَا مَعَالِمِ مَدِينَةِ رِيكْيَاْفِيكِ، وَلَكِنَّ عَمِّي رَفَضَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

لا.. لا، فَعَلَيْنَا العَمَلُ بِسُرْعَةٍ لِلوُصُولِ إِلَى سِنِيْفِلْز. بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ أَجْمَلَ مَا فِي أَيْسْلَنْدَا لَيْسَ أَرْضُهَا، بَلْ مَا هُوَ تَحْتَ أَرْضِهَا.

لَمْ أُنَاقِشْ عَمِّي فِي هَذَا المَوْضُوعِ، لِيَقِينِي أَنِّي لَنْ أَصِلَ مَعَهُ إِلَى نَتِيجَةٍ، لِذَلِكَ اتَّجَهْنَا رَأْسًا إِلَى مَنَزِلِ الأُسْتَاذِ فَرِيدِرِكْسُونِ، وَهُوَ مُدَرِّسٌ لِلْعُلُومِ سَنَنْزِلُ عِنْدَهُ بِضَعَةِ أَيَّامٍ.

أَخْبَرَ البرُوفِسُورُ الأُسْتَاذَ فَرِيدِرِكْسُونِ أَنَّنا سَنَقُومُ بِدِرَاسَةِ جِيُولُوجِيَّةِ لَآيسْلَنْدَا، وَقَدْ سَرَّهُ ذَلِكَ كَثِيرًا وَرَحَّبَ بِهَذِهِ الفِكْرَةِ، وَأَخْبَرَنَا أَنَّ هُنَاكَ الكَثِيرَ مِنَ الجِبَالِ وَالبَرَاكِينِ، فِي

أَيْسَلَنْدَا، بِحَاجَةٍ إِلَى دِرَاسَةٍ. وَأَضَافَ: «ذَاكَ الْجَبَلُ الَّذِي تَرَوْنَهُ هُنَاكَ وَاحِدٌ مِنْهَا، وَهُوَ يُدْعَى سَنِيفِلْزُ.»

أَخْفَى عَمِّي اهْتِمَامَهُ الْبَالِغَ، فَطَرَحَ سُؤَالَ عَادِيًّا: «هَذَا هُوَ اسْمُهُ؟»
وَتَابَعَ فَرِيدِرِكْسُونُ قَائِلًا: «إِنَّهُ بُرْكَانٌ هَامٌّ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ اسْتَكْشَفُوهُ.»
فَسَأَلَهُ عَمِّي: «وَلِمَاذَا؟ هَلْ هُوَ ثَائِرٌ الْآنَ؟» أَجَابَ: «لَا، لَا. إِنَّهُ خَامِدٌ مُنْذُ خَمْسِمِائَةٍ
سَنَةٍ.»



دَلِيلُنَا الْأَيْسَلَنْدِيُّ

هَذَا الْجَوَابُ الْأَخِيرُ زَادَ مِنْ حَمَاسٍ عَمِّي لِلِإِشْرَاعِ فِي بَدْءِ الرَّحْلَةِ، فَطَلَبَ مِنَ السَّيِّدِ فَرِيدِرِكْسُونِ أَنْ يُحْضِرَ لَنَا، فِي الْيَوْمِ التَّالِي، رَجُلًا خَيْرًا لِيَكُونَ دَلِيلَنَا فِي رِحْلَتِنَا إِلَى سَنِيْفَلَز.



جاء الدليل في اليوم التالي، وكان اسمه هانز بيلكي، وقد أُعجبت به فوراً إذ رأيته فيه إنساناً هادئاً وواثقاً من نفسه. اتفق عمي وهانز على الترتيبات المتعلقة بالرحلة، على أن يبدأ مسيرنا بعد يومين.

عندما غادرنا هانز قال لي البروفسور: «إنه إنسان طيب، ولكنه لا يدري، بالضبط، إلى أين سيصل معنا في المستقبل القريب.»

- أتعني، يا عمي، أنه سيذهب معنا إلى....

أجل، يا أكسل، إلى جوف الأرض.

المسيرة الشاقة

قررنا أن نتجه براً نحو سنيفلز في الشمال، لأن انتظار باخرة قد يستغرق وقتاً طويلاً. بعد يومين مرهقين من التحضير كنا جاهزين للانطلاق في السادسة من صباح اليوم السادس عشر من يونيو: خرجنا من ريكيافيك، وسلكنا الخط الساحلي عبر حقول يميل أخضرار نباتها إلى الصفرة والذبول. وقد بدت المنطقة موحشة كئيبة، فأرضها مُبسطة رتيبة تغطيها الصخور. وكنا نرى بعض البيوت الصغيرة المتناثرة هنا وهناك. بعد ذلك اختفت الأعشاب والأشجار والبيوت، ولم نعد نرى إلا أرضاً جرداء.



في التاسع عشر من يونيو قَدَرْتُ أَنَّنَا اقْتَرَبْنَا مِنْ هَدَفِنَا إِذْ مَرَرْنَا بِمِنْطَقَةٍ مُمْتَدَّةٍ عَلَى مَسَافَةٍ مِيلٍ، تَتَكَوَّنُ صُخُورُهَا مِنْ حُمَمٍ بُرْكَانِيَّةٍ قَدِيمَةٍ. كَانَتِ الصُّخُورُ هُنَاكَ بَارِزَةً، غَرِيبَةً الْأَشْكَالِ، ذَاتَ أَطْرَافٍ حَادَّةٍ، مِمَّا أَعَاقَ تَحَرُّكَنَا. وَفِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ، كَانَتِ الْأَبْخِرَةُ تَتَصَاعَدُ مِنَ الْيَنَابِيعِ الْحَارَّةِ الْمُتَفَجِّرَةِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ.

تَابَعْنَا سَيْرَنَا بِشَبَاتٍ، وَأَحْسَنْتُ بِالْإِعْيَاءِ. لَكِنَّ عَمِّي لَمْ يَبْدُ عَلَيْهِ التَّعَبُ، وَلَمْ يُرِدِ التَّوَقُّفَ لِلرَّاحَةِ. أَمَّا هَانِزٌ فَقَدْ اعْتَبَرَ هَذِهِ الرَّحْلَةَ الشَّاقَّةَ بِمِثَابَةِ نُزْهَةٍ.

تَوَقَّفْنَا عَنِ الْمَسِيرِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، وَقَرَّرْنَا الْمَبِيتَ فِي الْقَرْيَةِ الْوَاقِعَةِ عِنْدَ أَسْفَلِ سَفْحِ سَنِفِلَز. وَهُنَا أَذْرَكْتُ فَجْأَةً كَمْ كُنَّا قَرِيبِينَ مِنَ الْأَخْطَارِ الَّتِي تَنْتَظِرُنَا. فَمَا هُوَ مَصِيرُنَا إِذَا تَحَرَّكَ الْبُرْكَانُ فَجْأَةً وَنَحْنُ بِدَاخِلِ فُوهَتِهِ؟ هَلْ هُنَاكَ بُرْهَانٌ أَكِيدُ عَلَى أَنَّ سَنِفِلَزَ لَمْ يَعُدْ نَشِطًا؟ صَحِيحٌ أَنَّ الْبُرْكَانَ خَامِدٌ مُنْذُ السَّنَةِ ١٢٢٩، وَلَكِنْ أَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْفَجِرَ ثَانِيَةً فِي أَيِّ وَقْتٍ؟

سَمِعَ عَمِّي البروفسورُ مِنِّي وَمِنْ تَسَاؤُلَاتِي، وَأَكَّدَ لِي أَنَّ مَخَاوِفِي لَيْسَتْ فِي مَحَلِّهَا. وَقَدْ خَلَدْنَا إِلَى النَّوْمِ بَاكِرًا تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى أَمَلٍ اسْتِثْنَائِيٍّ تَحَرُّكِنَا بَاكِرًا فِي الْيَوْمِ التَّالِي. وَلَكِنِّي أَمْضَيْتُ لَيْلَةً شاقَّةً، إِذْ رَأَيْتُ نَفْسِي، فِي الْمَنَامِ، وَسَطَ بُرْكَانٍ تَحْتَ الْأَرْضِ، ثُمَّ قُدِفْتُ بَغْتَةً إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَمَا انْفَجَرَ الْبُرْكَانُ انْفِجَارًا رَهيبًا.

عِنْدَ فُوهَةِ الْبُرْكَانِ

فِي الْيَوْمِ التَّالِي، تَسَلَّقْنَا سَفْحَ الْجَبَلِ طَوْلَ النَّهَارِ، وَكُنَّا نَشْعُرُ أَنَّ ضَغْطَ الْهَوَاءِ يَزْدَادُ كُلَّمَا ارْتَفَعْنَا، مِمَّا سَبَّبَ لَنَا ضِيقًا فِي التَّنَفُّسِ وَزَادَنَا إِجْهَادًا.

لَمْ نَصِلِ الْقِمَّةَ إِلَّا فِي الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ لَيَالٍ، وَأَقَمْنَا مُخَيَّمًا هُنَاكَ عَلَى ارْتِفَاعِ خَمْسَةِ آلَافٍ قَدَمٍ فَوْقَ سَطْحِ الْبَحْرِ.



أَفَقْنَا صَبَاحًا، وَكَانَتِ الْحَرَارَةُ مُتَدَنِّيَّةً وَالْجَوُّ صَافِيًا جِدًّا. فَرَأَيْنَا الْجَزِيرَةَ كُلَّهَا وَقَدْ
انْبَسَطَتْ أَمَامَنَا كَأَنَّهَا خَرِيطَةٌ كُبْرَى. فَسَأَلَ عَمِّي عَنِ اسْمِ الْقِمَّةِ الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا، وَجَاءَهُ
جَوَابٌ هَانِزٌ مُرْضِيًّا، إِذْ كَانَتْ قِمَّةً سَكَارَتَارِسَ الَّتِي وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي تَعْلِيمَاتِ سَكُنُوسِم.
قَرَّرَ عَمِّي فَوْرًا الْانْحِدَارَ نَحْوَ أَسْفَلِ الْمَخْرُوطِ الْبُرْكَانِيِّ. وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى هُنَاكَ
ظَهَرْنَا وَجَدْنَا ثَلَاثَ فُتُحَاتٍ كَانَتْ قَدِيمًا مَنَافِذَ جَانِبِيَّةٍ لِقَذْفِ حُمَمِ الْبُرْكَانِ وَأَبْخَرَتِهِ.
وَكَانَ قُطْرُ كُلِّ فُتْحَةٍ حَوَالِي مِائَةِ قَدَمٍ.

بَادَرَ الْبَرُوفُ سَوْرُ لِيَدِينُ بُرْكَ إِلَى مُعَايِنَةِ الْفُتُحَاتِ، وَأَطْلَقَ فَجَاءَةً صَرْخَةً حَادَّةً خِلْتُ مَعَهَا
أَنَّهُ سَقَطَ فِي إِحْدَاهَا. نَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ مَبْهُوتًا بِلَا حَرَكَ. ثُمَّ نَادَانِي قَائِلًا: «تَعَالَ
بِسُرْعَةٍ يَا أَكْسِل».

ذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ ذَلِكَ الْاسْمَ اللَّعِينِ، سَبَبَ كُلِّ مَتَاعِي، مَخْفُورًا عَلَى صَخْرَةٍ.
أَشَارَ عَمِّي بِيَدِهِ مَزْهُوًّا وَهُوَ يُخَاطِبُنِي: «انْظُرْ وَاقْرَأ: أَرْنِي سَكُنُوسِم. هَلْ زَالَتْ
شُكُوكُكَ الْآنَ؟»



بِإِنْتِظَارِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ

كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نُحَدِّدَ الْمَنْفَذَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى جَوْفِ الْكُرَّةِ الْأَرْضِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ ظِلُّ سَكَارْتَارِسَ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ يُونِيو. وَلَكِنَّ الْوَقْتَ كَانَ عَصْرًا، وَعَلَيْنَا الْإِنْتِظَارُ حَتَّى الْيَوْمِ التَّالِي.

إِسْتَيْقَظْتُ صَبَاحًا لِأَجِدَ عَمِّي مُضْطَرِبَ الْمِزَاجِ، فَالسَّمَاءُ كَانَتْ رَمَادِيَّةً دَاكِئَةً، وَمِنْ دُونِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ السَّاطِعَةِ لَنْ نَعْرِفَ الْمَسْلَكَ الصَّحِيحَ. كُنَّا فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ يُونِيو، وَإِذَا ظَلَّتِ السَّمَاءُ غَائِمَةً فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ ذَلِكَ الشَّهْرِ، فَسَيَتَعَيَّنُ عَلَيْنَا الْإِنْتِظَارُ حَتَّى السَّنَةِ الْآتِيَةِ.

غَدَا عَمِّي فِي الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ غَاظِبًا، لَا يَنْطِقُ بِكَلِمَةٍ، وَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا غَيْرَ مُوَاصَلَةِ التَّحْدِيقِ فِي السَّمَاءِ الْمُلَبَّدَةِ بِالْغُيُومِ، وَقَدْ بَدَأَ الشَّهْرُ يَقْتَرِبُ مِنْ نِهَائِهِ الرَّمَادِيَّةِ.



وَأَخِيرًا تَبَدَّلَ الطَّقْسُ يَوْمَ الْأَحَدِ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ يُونِيُو: فَقَدْ سَطَعَتِ
الشَّمْسُ بِأَشْعَتِهَا عَلَى كُلِّ التَّلَالِ وَالصُّخُورِ وَالْحِجَارَةِ، وَأَلْقَتْ هَذِهِ جَمِيعًا ظِلَّالَهَا
عَلَى الْأَرْضِ. وَقَعَ ظِلُّ سَكَارْتَارِسَ عَلَى الْفُتْحَةِ الْوُسْطَى، فَهَبَّ عَمِّي مُتَهَلِّلًا: «ذَاكَ
هُوَ الظِّلُّ. أَنْظَرُ.. الْآنَ تَبْدَأُ رِحْلَتُنَا الْحَقِيقِيَّةُ.»



هَيَّأْنَا أَنْفُسَنَا لِلنُّزُولِ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ الْمُرَوَّعَةِ، وَأَخَذْتُ أَشْعُرُ بِالْخَجَلِ مِنْ نَفْسِي
عِنْدَمَا لَاحَظْتُ انْدِفَاعَ هَانَزٍ وَحَمَاسَهُ. لَقَدْ بَدَأَ جَرِيئًا لَا يَهَابُ شَيْئًا، وَلَا يَخْشَى خَطَرًا.
فَكَيْفَ أَرْضَى لِنَفْسِي أَنْ أَبْدُوَ جَبَانًا أَمَامَهُ؟؟

النُّزُولُ تَحْتَ الْأَرْضِ

كَانَتْ جَوَانِبُ الْمَنْفَذِ مُنْحَدِرَةً بِشَكْلِ عَمُودِيٍّ، وَلَكِنَّهَا غَيْرُ مَلْسَاءٍ، إِذْ كَانَتْ مَلِيئَةً
بِالصُّخُورِ النَّائِيَةِ وَكَانَتْ دَرَجَاتُ النُّزُولِ. قَسَّمْنَا الْعُدَّةَ وَالْمُؤْنَ فِيمَا بَيْنَنَا، وَرَبَطْنَا حَبْلًا
طَوِيلًا إِلَى صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ عِنْدَ فَمِ الْفُتْحَةِ، وَأَنْزَلْنَاهُ فِي الدَّاخِلِ، وَبَدَأْنَا الانْحِدَارَ وَاحِدًا
بَعْدَ الْآخَرِ مُسْتَعِينِينَ بِالْحَبْلِ.

لَمْ يَنْطِقْ أَحَدُنَا بِكَلِمَةٍ، فَسَادَ النَّفَقُ صَمْتُ مُطَبِّقٍ يَقْطَعُهُ، مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ، صَوْتُ
بَعْضِ الْحِجَارَةِ الْهَابِطَةِ نَحْوِ الْأَعْمَاقِ الْمَجْهُولَةِ.

تَابَعْنَا النُّزُولَ مُدَّةَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ، وَلَمْ نَصِلْ إِلَى أَيِّ أَرْضٍ أَوْ قَعٍ. وَلَمَّا رَفَعْتُ
نَظْرِي رَأَيْتُ فُتْحَةً الْمَنْفَذِ دَائِرَةً صَغِيرَةً، أَمَّا تَحْتَنَا فَكَانَ الظَّلَامُ الْحَالِكُ، وَمَعَ ذَلِكَ
تَابَعْنَا الْهُبُوطَ.

حَوَالِي مُتْتَصِفِ اللَّيْلِ وَصَلْنَا إِلَى قَعِ ذَلِكَ الْمَنْفَذِ، أَوِ الْعُنُقِ الْبُرْكَانِيِّ. كَانَ التَّعَبُ قَدْ
بَلَغَ بِي مَبْلَغًا، وَتَنَاوَلْتُ الْعِشَاءَ وَأَنَا أَفْكُرُ بِشَيْءٍ وَحِيدٍ هُوَ النَّوْمُ.

أَمَّا عَمِّي فَبَدَأَ نَشِطًا مُسْتَيْقِظًا، وَأَصَرَ عَلَى اسْتِعْرَاضِ إِنْجَازِ ذَلِكَ الْيَوْمِ غَيْرِ عَابِيٍّ
بِحَالَتِي وَحَالَةِ هَانَزٍ. قَالَ: «لَقَدْ تَفَحَّصْتُ تَكْوِينَ الصَّخْرِ، خِلَالَ نُزُولِنَا، وَوَجَدْتُ مَا
يَدْعُمُ نَظَرِيَّتِي الَّتِي تَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ جَوْفُ الْأَرْضِ حَارًّا.»

وَبِمَا أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِأَيِّ نِقَاشٍ مَعَ عَمِّي، فَقَدْ أَجَبْتُهُ: «سَوْفَ نَرَى، يَا عَمِّي،
سَوْفَ نَرَى»، وَاسْتَدْرْتُ عَلَى جَنْبِي وَغَفَوْتُ فِي الْحَالِ.

اسْتَيْقَظْنَا فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ عَلَى شُعَاعِ خَافِتٍ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ نَزَلَ إِلَيْنَا قَاطِعًا مَسَافَةً
ثَلَاثَةَ آلَافٍ قَدَمٍ مِنَ الْفَتْحَةِ. تَنَاوَلْنَا فُطُورًا مُشْبِعًا تَحْضِيرًا لِنَهَارٍ كَامِلٍ مِنَ السَّيْرِ. كَانَ
عِنْدَ يَمِينِ قَعْرِ الْمَنْقَذِ مَمَرٌ صَغِيرٌ، فَدَخَلْنَا مِنْهُ وَانْطَلَقْنَا.

وَلَكِنْ، قَبْلَ وُلُوجِ الْمَمَرِ الْمُعْتَمِ رَفَعْتُ نَاطِرِي إِلَى الْعَلَاءِ، فَرَأَيْتُ، لَأْخِرِ مَرَّةٍ فِي
حَيَاتِي، شَيْئًا مِنْ سَمَاءٍ أَيْسَلُّنَا.

فِي أَنْفَاقِ الْحُمَمِ

لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْحُمَمُ الْبُرْكَانِيَّةُ قَدْ حَفَرَتْ هَذَا النَّفَقَ مَمَرًا لَهَا عِنْدَمَا انْفَجَرَ هَذَا
الْبُرْكَانُ عَامَ ١٢٢٩. كَانَتْ جُذُرَانُ النَّفَقِ مُغَطَّاةً بِمَادَّةٍ مَعْدِنِيَّةٍ لَمَاعَةٍ بَدَتْ بِدِيعَةِ
الْمَنْظَرِ، فَهَتَفْتُ مُعْجَبًا: «يَا لِلرَّوْعَةِ! إِنَّهَا أَلْوَانُ مُذْهِشَةٍ، يَا عَمِّي.» فَهَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ:
«مَهْلًا يَا بُنَيَّ، أَنَا وَاثِقٌ مِنْ أَنَّ سَرَى الْمَزِيدَ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالرَّوَائِعِ خِلَالَ رِحْلَتِنَا.»

نَزَلْنَا، بِصُعُوبَةٍ بِالْغَةِ، فِي الْمَمَرِ الصَّخْرِيِّ الشَّدِيدِ الْانْحِدَارِ، مُهْتَدِينَ بِنُورِ مِصْبَاحِ

قَوِيٍّ، يَحْمِلُهُ عَمِي. وَعِنْدَمَا تَوَقَّفْنَا لَيْلًا وَجَدْنَا أَنْفُسَنَا فِي مَكَانٍ أَشْبَهَ بِكَهْفٍ.

جَلَسْتُ هُنَاكَ، وَاثْنَابَنِي إِحْسَاسٌ غَرِيبٌ، إِذْ خِلْتُ أَنَّي أَسْمَعُ صَوْتَ هُبُوبِ رِيحٍ
فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَا تُرَى؟ وَلَكِنِّي كُنْتُ مُتَعَبًا وَجَائِعًا، فَانْصَرَفَ ذِهْنِي عَنِ الْمَوْضُوعِ،
بِالِإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ مَسْأَلَةَ خَطِيرَةٍ كَانَتْ تَشْغَلُ بَالِي:

كُنَّا قَدْ اسْتَهْلَكْنَا نِصْفَ كَمِّيَّةِ الْمَاءِ الَّتِي أَحْضَرْنَاهَا مَعَنَا. وَكَانَ عَمِي يَتَوَقَّعُ أَنْ نَمُرَّ
بَيْنَابَيْعٍ جَوْفِيَّةٍ، وَلَكِنَّا لَمْ نَجِدْ شَيْئًا مِنْ هَذَا. وَقَدْ نَقَلْتُ إِلَيْهِ قَلْقِي هَذَا.

فَسَأَلَنِي: «هَلْ أَنْتَ قَلِقٌ، بِالْفِعْلِ، لِأَنَّ لَمْ نَجِدْ أَيَّ يَنْبُوعٍ؟»

- أَجَلْ. وَمَا يَزِيدُ اضْطِرَابِي هُوَ أَنَّ مَا تَبَقِيَ لَدَيْنَا مِنَ الْمَاءِ يَكْفِينَا لِمُدَّةِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ
فَقَطْ.

- لَا تَخَفْ. لَا بُدَّ أَنْ نَجِدَ الْمَاءَ بِمُجَرَّدِ أَنْ نَخْرُجَ مِنْ هَذَا النَّقِيقِ. وَهَلْ تَتَوَقَّعُ أَنْ تُفَجِّرَ
مِيَاهُ الْيَنْابِيعِ هَذِهِ الطَّبَقَةَ مِنَ الصُّخُورِ الْبُرْكَانِيَّةِ الصَّلْدَةِ؟!

وَلَمْ يَكُنْ أَمَامِي مِنْ حَلٍّ غَيْرِ الْاِقْتِنَاعِ بِكَلَامِهِ.

إِسْتَأْنَفْنَا الْمَسِيرَ صَبَاحًا فِي الثَّلَاثِينَ مِنْ يُونِيو. وَقَدْ وَصَلْنَا، بَعْدَ ظَهْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ،
إِلَى نِهَآيَةِ النَّقْرِ حَيْثُ كَانَ يُوجَدُ مَمَرَانِ. اخْتَارَ عَمِّي، مِنْ دُونِ تَرَدُّدٍ، الْمَمَرَ الشَّرْقِيَّ،
وَتَابَعْنَا الرُّحْلَةَ قَوْرًا.

لَمْ نَكْتَشِفْ خَطَأَنَا إِلَّا بَعْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ. مَا اسْتَطَعْتُ، فِي الْبَدْءِ أَنْ أَفْهَمَ لِمَاذَا أَخَذْتُ
أَجْدُ الْمَشْيِ مُتْعِبًا جِدًّا، ثُمَّ تَنَبَّهْتُ إِلَى أَنَّنَا كُنَّا نَمْشِي صُعُودًا!

رَفَضَ عَمِّي الْإِقْرَارَ بِمَا لَاحَظْتُهُ، وَلَمْ يَقْبَلْ بِمُنَاقَشَةِ الْمَوْضُوعِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ لَفْتُ نَظْرَهُ
إِلَى تَغْيِيرِ نَوْعِيَّةِ الصَّخْرِ. قُلْتُ لَهُ: «أَنْظُرْ يَا عَمِّي، لَقَدْ تَرَكْنَا الصُّخُورَ الْبُرْكََانِيَّةَ وَعُدْنَا
إِلَى الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا مِنْ قِشْرَةِ الْكُرَّةِ الْأَرْضِيَّةِ. فَتَسَاءَلُ: «أَتَعْتَقِدُ ذَلِكَ؟»



وَأَجَبْتُهُ: «أُنْظِرْ بِنَفْسِكَ.. تَفَحَّصِ الصَّخْرَ.»

وَمَعَ أَنَّهُ عَايَنَ الصَّخْرَ فَقَدْ رَفَضَ الْعُودَةَ مُعَلِّلاً ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «لَا أَسْتَبْعِدُ إِمْكَانِيَّةَ سَيْرِنَا فِي الْمَمَرِّ الْخَاطِئِ، وَلَكِنِّي لَنْ أَتَأَكَّدَ إِلَّا عِنْدَمَا نَصِلُ إِلَى نِهَائِيهِ.»

وَلَمَّا ذَكَرْتُهُ بِأَنَّ الْمَاءَ قَارِبَ النَّفَادِ ضَاقَ ذَرْعًا بِمَوْقِفِي هَذَا الَّذِي يَنْمُّ عَنْ اعْتِرَاضٍ عَلَى سُلْطَتِهِ، فَقَالَ: «عَلَيْنَا إِذَا أَنْ نَقْتَصِدَ فِي شُرْبِ الْمَاءِ.»

وَهَكَذَا أَكْمَلْنَا التَّقْدِمَ فِي ذَاكَ الْمَمَرِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ، إِلَى أَنْ وَصَلْنَا، مَسَاءَ السَّبْتِ، إِلَى حَائِطِ صَخْرِيَّ مَسْدُودٍ.

أَزْمَةٌ نَقْصِ الْمَاءِ

قَرَّرْنَا الْعُودَةَ فَوْرًا مِنْ دُونِ أَخِذِ فِتْرَةٍ لِلرَّاحَةِ، فَنَقَصُ الْمَاءِ لَا يَسْمَحُ لَنَا بِإِضَاعَةِ الْوَقْتِ.

كَانَتْ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ التَّالِيَةُ عَصِيبَةً، فَقَدْ نَفَدَ الْمَاءُ مَسَاءَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، وَعَانَيْنَا الْأَمْرَيْنِ مِنَ الْعَطَشِ.

مَرَّتْ عَلَيَّ لِحَظَاتٌ شَعَرْتُ فِيهَا أَنِّي لَمْ أَعُدْ قَادِرًا عَلَى التَّحَرُّكِ، وَلَكِنْ تَشْجِيعَ عَمِّي
لِي وَقُدْرَةَ هَانِزٍ عَلَى التَّحَمُّلِ كَانَا يَمْدَانِي بِالْعَزْمِ.

وَأخِيرًا وَصَلْنَا، يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فِي الثَّامِنِ مِنْ يُولْيُو، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَفَرَّعَ فِيهِ النَّفْقُ،
وَقَدْ كَادَ الْعَطَشُ يَقْضِي عَلَيْنَا، فَوَقَعْتُ أَرْضًا فِي حَالَةِ انْهِيارٍ كُلِّيٍّ.

انْدَفَعَ عَمِّي نَحْوِي وَسَاعَدَنِي عَلَى الْجُلُوسِ، وَكَانَ يَحْمِلُ زُجَاجَةً فِي يَدِهِ وَقَالَ:
«هَيَّا اشْرَبْ يَا عَزِيزِي. إِنَّهَا آخِرُ قَطْرَاتِ مَاءٍ لَدَيْنَا، وَقَدْ اخْتَفَضَتْ بِهَا لِأَجْلِكَ.»

شَكَرْتُ اللَّهَ لِإِدَارَةِ عَمِّي هَذِهِ، وَتَنَاوَلْتُ جُرْعَةَ الْمَاءِ الَّتِي رَدَّتْ إِلَيَّ الرُّوحَ.

بَعْدَ أَنْ اسْتَجَمَعْتُ قُوَايَ وَشَجَاعَتِي قُلْتُ لِلْبُرُوفْسُورِ: «وَالآنَ لَيْسَ أَمَامَنَا سِوَى
شَيْءٍ وَاحِدٍ نَفْعَلُهُ، وَهُوَ الْعَوْدَةُ.»

انْتَفَضَ عَمِّي غَاظِبًا وَصَاحَ: «كَلَّا. لَنْ نَعُودَ. لَقَدْ بَدَأْتُ هَذِهِ الرِّحْلَةَ وَسَأَكْمِلُهَا
حَتْمًا. فَلَا تَرَاوِجِ الْبِتَّةَ.» وَحَدَّجَنِي بِنَظْرَةٍ تَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ عَزْمِهِ وَتَضَمُّيمِهِ، وَأَضَافَ:
«لَا شَكَّ فِي أَنَّ أَرْنِي سَكُنُوسِمَ قَدْ سَلَكَ الْمَمَرَّ الْآخَرَ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ قَدْ احْتَنَجَ الْمَاءَ
كَمَا نَحْتَاجُهُ نَحْنُ. فَحَيْثُ وَجَدَ الْمَاءَ سَنَجِدُهُ نَحْنُ أَيْضًا.»

أَيَقَنْتُ أَنَّ لَا مَجَالَ لِإِقْنَاعِ عَمِّي بِتَغْيِيرِ رَأْيِهِ، وَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ أَتْرُكَهُ يُكْمِلُ
وَحْدَهُ. فَمِنْ الْآنَ وَصَاعِدًا لَا مَجَالَ لِلتَّرَاجُعِ. ثُمَّ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ سِتَّةَ
أَمْيَالٍ مِنَ الصُّخُورِ الصَّمَاءِ. وَعِنْدَمَا حَاوَلْتُ النَّوْمَ بَدَأَ لِي أَنَّ ثِقَلَ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ الْكَثِيفَةِ
الَّتِي فَوْقَنَا يَكَادُ يُطَبِّقُ عَلَى صَدْرِي.

جَدُولُ الْمَاءِ!

أَمْضَيْنَا الْيَوْمَ التَّالِيَّ وَنَحْنُ نُكَابِدُ السَّيْرَ فِي الْمَمَرِّ الثَّانِي. وَكُنْتُ عَلَى وَشَكِّ فَقْدِ
الْأَمَلِ، عِنْدَمَا سَمِعْتُ صَوْتًا غَرِيبًا، كَأَنَّهُ آتٍ مِنْ دَاخِلِ الْجِدَارِ الصَّخْرِيِّ.

وَضَعْنَا آذَانَنَا عَلَى الصَّخْرِ مُنْصِتِينَ لِإِلْتِقَاطِ الصَّوْتِ وَمَصْدَرِهِ.



هَتَفَ عَمِّي بِإِنْشِرَاحٍ وَأَمَلٍ: «إِنَّهُ نَهَرَ جَوْفِي». فَبِهَذَا صَوْتُ مَاءٍ جَارٍ.

أَمَّا هَانِزٌ فَقَدْ أَخَذَ يَمْشِي مَعَ الْجِدَارِ مُصْغِيًا لِيَجِدَ أَيْنَ يَكُونُ الصَّوْتُ مُرْتَفِعًا.

عَيْنَ هَانِزٍ بُقْعَةٌ تَرْتَفِعُ عَنِ الْأَرْضِ حَوَالِي ثَلَاثَةِ أَقْدَامٍ. ثُمَّ رَفَعَ مِعْوَلَهُ وَشَرَعَ يَضْرِبُ الْجِدَارَ الصَّخْرِيَّ. كَانَ يَعْمَلُ بِهَدْوٍ وَثَبَاتٍ، بَيْنَمَا وَقَفْتُ أَنَا وَعَمِّي بِجَانِبِهِ تُتَابِعُهُ بِإِهْتِمَامٍ وَتَرْقُبٍ.

نَقَرَ هَانِزُ الصَّخَرِ تَدِيحًا إِلَى أَنْ أَخَذَتْ ثِقْبًا عَرْضُهُ نِصْفُ قَدَمٍ تَقْرِيبًا، وَلَمَّا أَزْدَادَ ارْتِفَاعُ صَوْتِ الْمَاءِ خِلْتُ نَفْسِي أَشْرَبُ وَأَرْوِي غَلِيلِي.

بَعْدَ أَنْ أَمْضَى هَانِزٌ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ فِي الْعَمَلِ، كَانَ عُمُقُ الْفُتْحَةِ، فِي دَاخِلِ الصَّخَرِ، قَدْ وَصَلَ إِلَى قَدَمَيْنِ. كَادَ صَبْرِي يَنْقُذُ وَأَنَا أَنْتَظِرُ. وَلاَحَظْتُ أَنَّ الْبُرُوفْسُورَ كَانَ يَفُوقُنِي اضْطِرَابًا. وَأَخِيرًا انْبَثَقَ فَجْأَةً دَفْقٌ مِنَ الْمَاءِ وَصَلَ بِعُنْفٍ إِلَى الْجِدَارِ الْمُقَابِلِ.

ارْتَدَّ هَانِزٌ مِنْ قُوَّةِ دَفْعِ الْمَاءِ وَوَقَعَ أَرْضًا، وَلَكِنْ لَمْ أَذْرِكْ سَبَبَ إِطْلَاقِهِ صَرْخَةً أَلَمْ إِلَّا عِنْدَمَا وَضَعْتُ يَدِي فِي الْمَاءِ: لَقَدْ كَانَ حَارًّا لِدَرَجَةِ الْغَلْيَانِ.

أَخَذْتُ أُحَرِّكُ يَدِي الَّتِي سَفَعَهَا الْمَاءُ، وَقُلْتُ: «الْمَاءُ حَارٌّ حَارِقٌ». فَعَلَّقَ عَمِّي مُبْتَسِمًا: «لَا بَأْسَ، فَإِنَّهُ سَيَبْرُدُ بَعْدَ قَلِيلٍ».

إِمْتَلَأَ الْمَمَرُّ بِالْبُخَارِ، وَتَكَوَّنَ جَدْوَلٌ يَجْرِي فِي أَرْضِهِ الْمُنْحَدِرَةِ. وَقَدْ تَمَكَّنَّا، بَعْدَ



قَلِيلٌ، مِنَ الشُّرْبِ. كَانَ الْمَاءُ مَا يَزَالُ فَاتِرًا وَلَكِنَّهُ أَعَادَ إِلَيْنَا الْحَيَوِيَّةَ وَالْإِنْتِعَاشَ. وَقَدْ
شَرِبْتُ لِعِدَّةِ دَقَائِقٍ مُتَوَاصِلَةٍ.
مَلَأْنَا قَوَارِيرَنَا مَاءً، وَقَرَّرْنَا عَدَمَ رَدْمِ الشُّعْرَةِ حَتَّى يَظَلَّ الْجَدُولُ الْجَارِي فِي أَرْضِ
الْمَمَرِّ مَصْدَرًا مَاءً دَائِمًا لَنَا.

خَمْسَةَ عَشَرَ مِيلًا تَحْتَ الْأَرْضِ

فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ يُولْيُو كُنَّا عَلَى عُمُقِ خَمْسَةَ عَشَرَ مِيلًا تَحْتَ سَطْحِ الْأَرْضِ.
أَصْبَحَتِ الطَّرِيقُ أَقْلَ انْحِدَارًا وَأَسْهَلَ لِلْمَشْيِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ رَتِيئَةً.

كُنَّا نَسِيرُ وَنَسِيرُ سَاعَةً تَلَوَ سَاعَةً فِي الْإِتِّجَاهِ نَفْسِهِ. وَطَبَقًا لِحِسَابَاتِ عَمِّي لَمْ نَكُنْ
تَحْتَ أَرْضِ أَيْسَلَنْدَا وَإِنَّمَا فِي مَكَانٍ مَا تَحْتَ الْبَحْرِ.

وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّنَا كُنَّا نَتَوَعَّلُ نُزُولًا، فَإِنَّنِي لَمْ أَعُدْ مُتَضَائِقًا. وَيَبْدُو أَنَّ مَخَاوِفِي السَّابِقَةَ
قَدْ زَالَتْ، وَوَجَدْتُ نَفْسِي أَشَاطِرُ عَمِّي الْبَرْفُوسُورَ حِمَاسَهُ الْبَالِغَ.

لَمْ أَعُدْ أَفَكِّرُ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَكُلِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَرَكْنَاهَا مُنْذُ مُدَّةٍ فِي الْعَالَمِ
الْعُلُويِّ. وَالشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي أَرْعَجَنِي هُوَ وَجَعُ مُسْتَمِرٍّ فِي أُذُنِي.

طَمَأَنَّنِي عَمِّي إِلَى أَنَّ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَى ضَغْطِ الْهَوَاءِ، وَأَضَافَ: «تَنَفَّسْ بِسُرْعَةٍ تَشْعُرُ
بِتَحَسُّنٍ. ثُمَّ هَلْ لَاحَظْتَ كَمْ أَنَّ الْأَصْوَاتَ هُنَا صَافِيَةٌ لِأَنَّ الْهَوَاءَ أَثْقَلُ؟» وَوَجَدْتُ أَنَّهُ
عَلَى حَقٍّ. وَفِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ تَتَابَعَ مَسِيرُنَا مِنْ دُونِ عَوَائِقٍ وَصُعُوبَاتٍ.

تَائِهٌ فِي الْأَعْمَاقِ

عِنْدَمَا حَلَّ السَّابِعُ مِنْ أَغْسُطُسْ كُنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا عَلَى عُمُقٍ تَسْعِينَ مِيلًا تَحْتَ سَطْحِ
الْأَرْضِ، وَعَلَى بُعْدِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ مِنْ أَيْسَلَنْدَا. كَانَ الْمَمَرُ مُنْبَسِطًا، وَكُنْتُ أَحْمِلُ أَحَدَ
الْمَصَابِيحِ وَأَسِيرُ أَمَامَ عَمِّي وَهَانِزٍ. تَقَدَّمْنَا صَامِتِينَ مَسَافَةً طَوِيلَةً، وَلَمَّا اسْتَدْرَتْ
لِأَكْلَمِ عَمِّي وَجَدْتُ نَفْسِي وَحِيدًا!

حَدَّثْتُ نَفْسِي قَائِلًا: «مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّنِي مَشَيْتُ بِسُرْعَةٍ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَا قَدْ تَوَقَّفَا
قَلِيلًا. عَلَيَّ أَنْ أَعُودَ إِلَيْهِمَا.»

سِرْتُ حَوَالِي رُبْعِ سَاعَةٍ وَنَظَرْتُ حَوْلِي فَلَمْ أَرِ أَحَدًا، وَنَادَيْتُ فَلَمْ أَسْمَعْ جَوَابًا. لَقَدْ
ضَلَلْتُ طَرِيقِي وَأَصْبَحْتُ وَحْدِي.

سَاوَرَنِي قَلَقٌ شَدِيدٌ وَخَاطَبْتُ نَفْسِي قَائِلًا: «لَيْسَ عَلَيَّ إِلَّا أَنْ أَسِيرَ عَائِدًا فِي هَذَا
الْمَمَرِ الَّذِي جِئْتُ مِنْهُ وَسَأَلْتَنِي بِهِمَا. ثُمَّ إِنِّي لَا يُمَكِّنُ أَنْ أَضِلَّ وَدَلِيلِي هُوَ الْمَاءُ
الْجَارِي فِي أَرْضِ الْمَمَرِ. فَمَا عَلَيَّ إِلَّا أَنْ أَتَّبَعَ مَجْرَى الْمَاءِ.»



انْحَنَيْتُ لِأَضْعَ يَدِي فِي الْمَاءِ، وَلَكِنِّي تَسَمَّرْتُ فِي مَكَانِي لَمَّا لَمَسْتُ أَرْضًا صَخْرِيَّةً
جَافَّةً، فَلَا جَدْوَلَ وَلَا مَاءَ جَارِيًا. لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَصِفَ حَقِيقَةَ مَا دَارَ فِي رَأْسِي مِنْ
أَفْكَارٍ وَهَوَاجِسَ، قَدْ يَكُونُ الطَّفَهَا أَنَّنِي وَحِيدٌ كَأَنَّنِي مَدْفُونٌ حَيًّا، وَأَنَّنِي سَامُوتٌ - لَا
مَحَالَّةَ - مِنَ الْبَرْدِ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ.

صَرَخْتُ يَائِسًا: «أَيْنَ أَنْتَ يَا عَمِّي» إِذْ قَدَّرْتُ أَنَّهُ الْآنَ فِي أَسَى شَدِيدٍ لِفَقْدِي.

قَرَّرْتُ إِكْمَالَ السَّيْرِ صُعُودًا، وَلَمْ أَجِدْ صَعُوبَةً تُذَكِّرُ خِلَالَ نِصْفِ سَاعَةٍ. بَدَأَ الْمَكَانُ
الَّذِي أَمُرُّ فِيهِ غَيْرَ مَأْلُوفٍ، فَأَيَّقَنْتُ مُرْتَاعًا أَنَّنِي دَخَلْتُ خَطَأً فِي مَمَرٍ جَانِبِيٍّ. وَقَدْ تَأَكَّدْتُ
مِنْ غَلْطِي هَذِهِ عِنْدَمَا اجْتَرَزْتُ الْمُنْعَطَفَ الَّذِي أَمَامِي وَوَجَدْتُ الْمَمَرَّ مَسْدُودًا!

لَقَدْ اضْطَدَمْتُ بِالْحَائِطِ الصَّخْرِيِّ الصُّلْبِ، فَوَقَعْتُ أَرْضًا وَأَخْسَسْتُ أَنَّ آخِرَ آمَالِي
قَدْ تَحَطَّمَتْ عَلَى ذَلِكَ السَّدِّ اللَّعِينِ. فَمِنَ الْعَبَثِ أَنْ أُحَاوِلَ انْقِذَافَ نَفْسِي مِنْ هَذِهِ
الْمَتَاهَةِ الْمُكُونَةِ مِنْ شَبَكَةٍ لَا تُحْصَى مِنَ الْأَنْفَاقِ وَالْمَمَرَاتِ الصَّخْرِيَّةِ.

وَكَأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ كَافِيًا، إِذْ تَحَطَّمَتْ مِصْبَاحِي عِنْدَمَا وَقَعْتُ، فَلَمْ أَعُدْ أَرَى أَمَامِي
غَيْرَ الظَّلَامِ وَالْمَوْتِ!

مَعَ البروفسورِ وهانزِ مَرَّةً ثَانِيَةً

تَابَعْتُ الْمَشْيَ مُتَعَثِّرًا، وَقَدْ أَصَابَتْني الْجِرَاحُ نَتِيجَةً اضْطِدَامِي بِالصُّخُورِ النَّائِيَةِ. ثُمَّ وَقَعْتُ عَلَى الْأَرْضِ مُنْهَارًا، وَبَقِيتُ هُنَاكَ سَاعَاتٍ مَا سَمِعْتُ خِلَالَهَا سِوَى دَقَّاتِ قَلْبِي.

وَفَجْأَةً دَوَّى صَوْتُ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ قَصْفُ الرِّعْدِ، ثُمَّ أَخَذَ هَذَا الصَّوْتُ يَتَلَاشَى. فَمِنْ أَيْنَ أَتَى يَا تُرَى؟ هَلْ هُوَ انْفِجَارُ غَازَاتٍ دَفِينَةٍ؟ أَوْ انْهِيَارُ كُتْلٍ صَخْرِيَّةٍ فِي مَكَانٍ مَا فِي جَوْفِ الْأَرْضِ؟

الْصَّوْتُ أَذْنِي بِالْجِدَارِ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ هَذَا الصَّوْتِ فِي حَالِ تَكَرُّرِهِ، وَلَكِنِّي فُوجِئْتُ بِسَمَاعِ صَوْتٍ خَافِتٍ كَأَنَّهُ كَلِمَاتٌ، فَشَعَرْتُ بِقُشْعَرِيرَةٍ تَسْرِي فِي بَدَنِي.

سَاءَلْتُ نَفْسِي: «هَلْ أَنَا وَاهِمٌ؟»

أَضْغَيْتُ ثَانِيَةً، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتًا بِالْفِعْلِ!

صَحْتُ بِكُلِّ مَا تَبَقِيَ لَدَيَّ مِنْ قُوَّةٍ: «هَنَا... أَنَا هَنَا.» سَكَتَ بَعْدَهَا مُنْصِتًا فِي ذَلِكَ السُّكُونِ الْمُظْلِمِ، فَمَا جَاءَنِي صَوْتُ.



مَرَّتْ دَقَائِقُ وَأَنَا أَنَادِي مُكَرَّرًا: «يَا عَمِّي لِيَدُنْكَ». ثُمَّ سَمِعْتُ إجابةً بَعِيدَةً:

«أَكْسِل. أَهَذَا أَنْتَ يَا أَكْسِل؟»

- «أَجَل، أَجَل. إِنِّي تَائِهٌ فِي ظَلَامٍ مُطْبِقٍ».

- «صَبْرًا يَا أَكْسِل... كُنْ شَجَاعًا يَا بُنَيَّ. سَوْفَ نَصِلُ إِلَيْكَ... لَقَدْ بَلَّغْنَا مَكَانًا فَسِيحًا
جِدًّا تَنَحَدِرُ إِلَيْهِ عِدَّةُ مَمَرَاتٍ... وَالْمَمَرُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ نِهَائِيَّةٌ هُنَا... تَقَدَّم... حَاوِلْ أَنْ
تَصِلَ إِلَى هُنَا وَسَتَجِدُنَا بِإِنْتِظَارِكَ... هَيَّا تَقَدَّم».

دَبَّ فِي الْحَمَاسِ لَدَى سَمَاعِي ذَلِكَ، فَنَهَضْتُ مُتَهَالِكًا وَانْطَلَقْتُ مُتَّبِعًا تَعْلِيمَاتِ
عَمِّي. وَالْوَاقِعُ أَنَّ صَوْتَ الْكَلَامِ بَيْنِي وَبَيْنَ الْبُرُوفِ قَدْ مَرَّ عَبْرَ النِّفْقِ.

بَعْدَ أَنْ تَقَدَّمْتُ قَلِيلًا أَصْبَحَتِ الْأَرْضُ تَحْتِي مُنَحْدِرَةً وَكُنْتُ مُنْهَكًا مِنْ شِدَّةِ الْإِعْيَاءِ
فَارْتَمَيْتُ أَرْضًا وَأَحْسَسْتُ بِنَفْسِي أَهْبِطُ مُتَدَخِّرًا إِلَى أَنْ ارْتَطَمَ رَأْسِي بِحَجَرٍ صَخْرِيٍّ
فَأُغْمِيَ عَلَيَّ.

عِنْدَمَا أَفْقَتُ مِنْ غَيْبَوِيَّتِي، فَتَحْتُ عَيْنَيَّ عَلَى وَجْهِ عَمِّي يَنْظُرُ نَحْوِي بِاضْطِرَابٍ
ظَاهِرٍ مُفْتَشًّا عَنْ أَيِّ عِلَاقَةٍ تَدُلُّ عَلَى حَيَاةٍ.

حِينَ بَدَرْتُ مِنِّي أَوَّلَ حَرَكَةٍ بَسِيطَةٍ انْفَجَرَ عَمِّي صَائِحًا: «إِنَّهُ حَيٌّ! الْحَمْدُ لِلَّهِ... لَا
تَتَحَرَّكِ الْآنَ، يَجِبُ أَنْ تَرْتَاحَ يَا عَزِيزِي. نَمْ يَا أَكْسِلِ الْآنَ، نَمْ. وَسَتَكَلِّمُ غَدًا».

وَهَذَا هُوَ بِالضَّبْطِ مَا كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، فَأُغْمَضْتُ عَيْنَيَّ، وَأَنَا أَشْكُرُ اللَّهَ لِأَنِّي مَعَ
رَفِيقِي مُجَدِّدًا.

بَحْرٌ تَحْتَ الْأَرْضِ

عِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ صَبَاحًا نَظَرْتُ حَوْلِي، فَوَجَدْتُ الْأَرْضَ مُغَطَّاةً بِرَمْلٍ أَبْيَضٍ نَقِيٍّ.
اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْمَعَ هَفِيفَ هَوَاءٍ وَصَوْتًا كَتَكْسُرِ أَمْوَاجٍ عَلَى شَاطِئٍ. وَبَدَا الْمَكَانُ مُنِيرًا
مَعَ أَنَّ مَصَابِيحَنَا كَانَتْ مُطْفَأَةً. فَهَلْ كُنْتُ مُسْتَيْقِظًا بِالْفِعْلِ أَمْ كُنْتُ أَحْلَمُ؟



أَرَدْتُ النُّهُوضَ لِأَسْتَطْلِعَ حَقِيقَةَ الْمَكَانِ، فَحَاوَلْتُ عَمِّي أَنْ يُبَيِّنَنِي فِي مَكَانِي، وَلَكِنَّهُ
عِنْدَمَا وَجَدَ أَنَّ فُضُولِي كَانَ عَارِماً سَمَحَ لِي بِالنُّهُوضِ.



بَعْدَ أَنْ أَلْفَتْ عَيْنِي النُّورَ، ذُهِلْتُ لِرُؤْيَا تَجْمُوعِ مَائِي مُمْتَدِّ كَالْبَحِيرَةِ أَوْ الْبَحْرِ. خِلْتُ
أَنِّي عَلَى سَطْحِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ ثَانِيَةً، فَهُنَاكَ بَحْرٌ لَهُ شَاطِئٌ تَمْتَدُّ وَرَاءَهُ تِلَالٌ مُرْتَفِعَةٌ.
لَمْ يَكُنِ النُّورُ يُشَبِّهُ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ وَلَا ضَوْءَ الْقَمَرِ، إِنَّمَا كَانَ نُورًا بَاهِتًا. رَأَيْتُ أَيْضًا
سَمَاءً كَأَنَّ فَوْقَ غُيُومِهَا سَقْفًا كَبِيرًا مِنَ الصُّخُورِ الْبُرْكَانِيَّةِ. وَقَدَّرْتُ أَنَّ قُبَّةَ سَمَائِنَا
الْبَاطِنِيَّةِ تِلْكَ تَرْتَفِعُ حَوَالِي تِسْعَةِ أَمْيَالٍ. وَهَذِهِ الْمَسَافَةُ تُظْهِرُ مَدَى كِبَرِ الْكَهْفِ، أَوْ
التَّجْوِيفِ الْفَسِيحِ، الَّذِي كُنَّا فِيهِ.

سِرْتُ وَعَمِّي قَلِيلًا بِمُحَاذَاةِ الشَّاطِئِ نَحْوِ التَّلَالِ الْمَكْسُوءَةِ بِالْأَشْجَارِ. وَرَأَيْتُ، لَدَى
اقْتِرَابِنَا، أَنَّ الْأَشْجَارَ كَانَتْ أَشْبَهَ بِفُطُورٍ كَبِيرَةٍ. ثُمَّ رَأَيْنَا أَشْجَارًا غَرِيبَةً أُخْرَى، وَهِيَ مِنَ
الْأَنْوَاعِ الَّتِي كَانَتْ تَنْمُو عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ مُنْذُ مِلْيَيْنِ السَّنِينَ.

قُلْتُ: «بِاللَّهِ عَلَيْكَ يَا عَمِّي، أَيْنَ نَحْنُ الْآنَ؟» فَأَجَابَ الْبَرُوفْسُورُ مُبْتَسِمًا: «تَحْتَ
الْأَرْضِ». ثُمَّ أَكْمَلَ: «إِنَّا، يَا عَزِيزِي، عَلَى بُعْدِ ١٠٥٠ مِيلًا عَنْ أَيْسَلَنْدَا وَعُمُقِ مِائَةِ مِيلٍ
تَحْتَ أَدِيمِ الْأَرْضِ».

- وَلَكِنْ، إِلَى أَيْنَ سَنَصِلُ فِي اسْتِكْشَافِنَا؟ هَلْ يُمَكِّنُنَا النَّزُولُ تَحْتَ هَذَا الْبَحْرِ!
- كَلَّا بِالطَّبَعِ. وَلَكِنَّا سَنُبْحِرُ غَدًا لِلْبَحْثِ عَنْ مَمَرَاتٍ أُخْرَى.
- نُبْحِرُ؟ وَبِأَيِّ سَفِينَةٍ؟!
- سَنُبْحِرُ عَلَى عَوَامَةٍ. إِنَّ هَانِزَ يَعْمَلُ عَلَى إِعْدَادِهَا مُنْذُ الْأَمْسِ.

عَلَى مَتْنِ الْعَوَامَةِ

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي كَانَتِ الْعَوَامَةُ الْمَصْنُوعَةُ مِنَ الْأَخْشَابِ الْمُتَحَجَّرَةِ جَاهِزَةً، بِفَضْلِ بَرَاعَةِ دَلِيلِنَا هَانِزَ.

وَضَعْنَا، عَلَى الْعَوَامَةِ، كُلَّ مَا لَدَيْنَا مِنْ طَعَامٍ وَأَدَوَاتٍ وَآلَاتٍ عِلْمِيَّةٍ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَاءِ اسْتِعْدَادًا لِرِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ عَبْرَ «بَحْرِ لِيدِنْبُرْكِ» كَمَا سَمَّاهُ عَمِّي بِكُلِّ فَخْرٍ.

انْطَلَقْنَا فِي الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ أَغْسُطُسِ صَبَاحًا، وَقَدْ قَطَعْنَا مَسَافَةً كَبِيرَةً بِفَضْلِ رِيحٍ هَبَّتْ بِقُوَّةٍ وَمَلَأَتْ الشَّرَاعَ الْمُوقَّتَ لِلْعَوَامَةِ.

وَبَعْدَ بَضْعِ سَاعَاتٍ لَمْ نَعُدْ نَلْمَحُ الشَّاطِئَ الشَّمَالِيَّ الَّذِي انْطَلَقْنَا مِنْهُ، وَأَضْبَحْنَا فِي خِصْمِ ذَلِكَ الْبَحْرِ الْمَجْهُولِ.

كُنَّا، فِي الْيَوْمِ التَّالِي، قَدْ ابْتَعَدْنَا مَسَافَةً تِسْعِينَ مِيلًا، وَكَانَتِ الْعَوَامَةُ تَشُقُّ صَفْحَةَ الْمَاءِ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ.

عِنْدَ الظُّهيرةِ، رَبَطَ هَانزُ صِنَارَةً بِخَيْطٍ، وَرَمَاهَا فِي الْمَاءِ. وَلَمَّا لَمْ يَصِدْ شَيْئًا بَعْدَ مُرُورِ سَاعَتَيْنِ اسْتَتَجْنَا أَنْ لَا حَيَاةَ فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ. ثُمَّ التَّقَطَّ فَجَاءَ أَغْرَبَ سَمَكَةٍ رَأَيْتُهَا فِي حَيَاتِي: كَانَتْ ذَاتَ رَأْسٍ مُسَطَّحٍ مُدَوَّرٍ، وَالْجُزْءُ الْخَلْفِيُّ مِنْ جِسْمِهَا مُغَطَّى بِصَفَائِحَ عَظْمِيَّةٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا عَيْنَانِ وَلَا أَسْنَانٌ وَلَا ذَيْلٌ. وَقَدْ أَوْضَحَ عَمِّي أَنَّنَا اصْطَدْنَا سَمَكَةً مِنْ أَحَدِ أَنْوَاعِ الْأَسْمَاكِ الْمُتَحَجِّرَةِ، وَأَضَافَ: «إِنَّهَا، فِي الْوَاقِعِ، سَمَكَةٌ حَيَّةٌ انْقَرَضَتْ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ مِنْذُ مِائَةِ مِليونِ سَنَةٍ. لَقَدْ وَقَعْنَا عَلَى كَثْرٍ عِلْمِيٍّ!»

تَبَّتْ لَنَا، بَعْدَ ذَلِكَ، أَنَّ أَنْوَاعَ السَّمَكِ الْمَوْجُودَةِ فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ لَا تُوجَدُ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ إِلَّا كَمُتَحَجَّرَاتٍ. وَسَرَّعَانَ مَا سَرَحْتُ بِي مُخَيَّلَتِي: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا، فَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ نُصَادِفَ، تَحْتَ الْأَرْضِ، تِلْكَ الزَّوَاحِفَ الْهَائِلَةَ وَالْوُحُوشَ الضَّارِيَةَ الَّتِي عَاشَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْذُ مِلايِينِ السِّنِينَ؟؟

وَلَكِنْ مَا هَذَا مِنْ رَوْعِي هُوَ اسْتِمْتَاعِي بِالْإِبْحَارِ فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ الْهَادِي الْمُتْرَامِي الْأَطْرَافِ، بَعْدَ الْمُعَانَاةِ الطَّوِيلَةِ فِي تِلْكَ الْأَنْفَاقِ الضَّيِّقَةِ الَّتِي مَرَرْنَا بِهَا.

حَاولْنَا، فِيمَا بَعْدُ، مَعْرِفَةَ عُمُقِ الْبَحْرِ، فَرَمَى هَانزُ الْمِعْوَلَ مَرْبُوطًا بِحَبْلِ، وَقَدْ رَبَطَ كُلُّ مَا لَدَيْنَا مِنْ جِبَالٍ وَلَمْ يَبْلُغِ الْمِعْوَلُ الْقَعْرَ. يَا إِلَهِي، أَلَيْسَ لِهَذَا الْبَحْرِ مِنْ قَعْرِ؟ وَلَمَّا رَفَعَ الْمِعْوَلَ، بَعْدَ ذَلِكَ، أَشَارَ إِلَى عِلَامَاتٍ غَرِيبَةٍ عَلَيْهِ.

قَالَ عَمِّي بِدَهْشَةٍ بِالْغَةِ: «إِنَّهَا آثَارُ أَسْنَانٍ!»

كَانَ عَمِّي مُصَيَّبًا، وَقَدْ ظَهَرَتْ عِلَامَاتُ الْأَسْنَانِ بِشَكْلِ وَاضِحٍ. فَهَلْ تُوجَدُ مُخْلُوقَاتٌ وَخْشِيَّةٌ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ تَحْتَنَا؟ لَقَدْ أَرَعَبَنِي هَذَا الْاِحْتِمَالُ، فَبَادَرْتُ إِلَى تَفْقُّدِ أَسْلِحَتِنَا.



وُحُوشُ الْأَعْمَاقِ

بَعْدَ سَاعَتَيْنِ تَقْرِيْبًا، تَبَيَّنَ أَنَّ مَخَافِي كَانَتْ فِي مَحَلِّهَا، إِذْ عَلَتْ عَوَامَتُنَا فَجْأَةً، ثُمَّ وَقَعَتْ عَلَى صَفْحَةٍ (وَجْهِ) الْمَاءِ، وَشَاهَدْنَا جِسْمَيْنِ دَاكِنِي اللَّوْنِ يَرْتَفِعَانِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاجِ، عَلَى بُعْدِ حَوَالِي ١٢٠٠ قَدَمٍ مِنَ الْعَوَامَةِ. كَانَ هَذَا الْمَخْلُوقَانِ مِنَ الضَّخَامَةِ بِمَكَانٍ حَتَّى بَدَتْ الْعَوَامَةُ نُقْطَةً صَغِيرَةً إِزَاءَهُمَا. أَخَذَا يَقْتَرِبَانِ مِنَّا وَيَدُورَانِ حَوْلَنَا، فَسَلَّمْنَا أَمْرَنَا إِلَى اللَّهِ لِأَنَّ لَا مَفَرَّ مِنْ أَمَامِهِمَا.

تَنَاوَلْتُ بُنْدُقِيَّةً اسْتِعْدَادًا لِإِطْلَاقِ النَّارِ، وَلَكِنَّا اكْتَشَفْنَا أَنَّهُمَا لَمْ يُلَاحِظَا وَجُودَنَا، بَلْ تَوَاجَهَا وَبَدَأَ الْعِرَاكُ. كَانَتِ الْمَعْرَكَةُ شَرِيسَةً، وَقَدْ أَثَارَتْ حَرَكَتُهُمَا أَمْوَاجًا عَاتِيَةً كَالْجِبَالِ. مَرَّتْ سَاعَتَانِ وَالْعِرَاكُ دَائِرٌ حَوْلَنَا، وَمَا كَانَ أَمَامَنَا غَيْرُ انْتِظَارِ الْفَرَجِ وَرَجَاءِ الْخَلَاصِ.



اِخْتَفَى الْوَحْشَانِ فَجَاءَ تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ، وَمَا لَبِثَ أَحَدُهُمَا أَنْ طَفَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ هَامِدًا بِلا حَرَاكِ. وَقَدْ حَمِدْنَا اللَّهَ عَلَى أَنْ خَصَّمَهُ لَمْ يَظْهَرْ ثَانِيَةً، فَأَمِنَّا جَانِبَنَا مُوقَّتًا، وَأَصْبَحْنَا شَدِيدِي الْيَقْظَةِ وَالْحَذَرِ خَوْفًا مِنْ بُرُوزِ الْخَطَرِ مُجَدَّدًا.

النافورة الغريبة

مَرَّ الْيَوْمَانِ التَّالِيَانِ بِهَدْوٍ وَسَلَامٍ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ شَاهَدْنَا، عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنَّا، دَفْقًا قَوِيًّا مِنَ الْمَاءِ يَرْتَفِعُ نَحْوَ السَّمَاءِ. وَكُلَّمَا اقْتَرَبْنَا وَجَدْنَا أَنَّ الْمَاءَ يَزْدَادُ ارْتِفَاعًا. اِعْتَقَدْتُ أَنَّ هُنَاكَ حَيَوَانًا جَبَّارًا يَنْفُثُ الْمَاءَ مِنْ مَنْخَرِهِ.

أَصْبَحْنَا، فِي الثَّامِنَةِ مَسَاءً، عَلَى بُعْدِ حَوَالِي سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ هَذَا النَّقَاطِ الْمَائِيِّ الْغَرِيبِ، ثُمَّ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَلْمَحَ شَكْلًا أَسْوَدَ قَائِمًا فِي الْبَحْرِ، وَقَدْ ظَهَرَ ضَخْمًا وَعَالِيًا كَالْجَبَلِ الشَّامِخِ. كَانَ سَاكِئًا، لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَتَزَحَّزَحُ، وَكَانَتِ الْأَمْوَاجُ تَتَكَسَّرُ عَلَيْهِ فَيَتَطَايَرُ الرِّذَاذُ وَيَتَشِيرُ الزَّبْدُ. لَقَدْ أَفْرَعَنِي حَجْمُهُ الْهَائِلُ وَصَمْتُهُ الرَّهِيبُ، فَهَلْ كَانَ جَائِمًا هُنَاكَ يَتَرَبَّصُّ بِنَا سِرًّا؟؟

وَقَفَ هَانِزًا وَأَخَذَ يُحَدِّثُ بِأَمْعَانٍ، ثُمَّ اسْتَدَارَ نَحُونًا بَعْدَ دَقَائِقَ وَقَدْ رَسَمَ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةً سَاخِرَةً، وَقَالَ ضَاحِكًا: «إِنَّهَا جَزِيرَةٌ! وَعَمُودُ الْمَاءِ هَذَا لَيْسَ إِلَّا حَمَّةٌ فَوَارَةٌ.» أَخَذْتُ، فَوْرًا، أُؤْتِبُ نَفْسِي عَلَى شِدَّةِ خَوْفِي الَّذِي جَعَلَنِي أَحْسَبُ الْجَزِيرَةَ حَيَوَانًا ضَخْمًا!



أَمْضَيْنَا بَعْضَ الْوَقْتِ فِي اسْتِكْشَافِ شَاطِئِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الْبُرْكَانِيَّةِ، ثُمَّ غَادَرْنَا بِهَا بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَ عَلَيْهَا عَمِّي اسْمَ «جَزِيرَةِ أَكْسِل».

أَبْحَرْنَا طَوَالَ الْيَوْمِ التَّالِي، وَقَدْ لَاحَظْنَا اخْتِلَافًا فِي حَالَةِ الطَّقْسِ، إِذْ تَحَوَّلَ لَوْنُ السُّحُبِ إِلَى الْبُنِّيِّ الْمُخْضَرِّ، وَأَصْبَحَتْ مُنْخَفِضَةً فَوْقَ الْبَحْرِ.

عاصِفةٌ عاتِيَةٌ

هَبَّتْ، بَعْدَ ظَهْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، عاصِفةٌ قَوِيَّةٌ. أَخَذَ الْمَطَرُ يَهْطُلُ بِغَزَارَةٍ وَعَنْفَتِ الرِّيحُ، وَكَانَ الرَّعْدُ يَقْصِفُ بِشِدَّةٍ، فِيمَا أَصْبَحَتِ السَّمَاءُ سَوْدَاءَ قَاتِمَةٍ.

اسْتَمَرَّتِ الْعاصِفةُ ضَارِيَةً ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةٍ أَصْبَحْنَا فِيهَا عَلَى شَفَا الْأَنْهِيَارِ التَّامِّ مِنْ شِدَّةِ الْيَأْسِ وَالتَّعَبِ. ثُمَّ أَحْسَسْنَا بِضَيْقٍ فِي التَّنَفُّسِ، إِذْ غَدَا الْهَوَاءُ ثَقِيلًا وَكَأَنَّهُ مَشْحُونٌ بِقُوَّةِ كَهْرِبَائِيَّةٍ.



ثُمَّ بَرَزْتُ قُرْبَ عَوَامِنَا كُرَّةً نَارِيَّةً صَغِيرَةً لَوْ أَنَّ لَهَا بِهَا أَزْرَقُ بِهِيٍّ، وَقَدْ امْتَلَأَ الْهَوَاءُ بِرَائِحَةِ غَرِيْبَةٍ فَكِدْنَا نَحْتَنِقُ.

تَبَهَّتُ فَجَاءَةً إِلَى أَنِّي أَقِفُ تَمَامًا فِي طَرِيقِ تِلْكَ الْكُرَّةِ النَّارِيَّةِ، فَاسْتَدْرْتُ بِعُنْفٍ مُبْتَعِدًا عَنْ طَرِيقِهَا. وَمَا لَبِثْتُ الْكُرَّةُ أَنْ انْفَجَرَتْ مُشِعَّةً بِنُورٍ سَاطِعٍ فَائِقِ الْبَهَاءِ، ثُمَّ أَظْلَمَتِ الْأَجْوَاءُ أَمَامَ عَيْنِي وَفَقَدْتُ الْوَعْيَ.

كَانَتْ الْعَاصِفَةُ قَدْ انْجَلَتْ عِنْدَمَا أَفَقْتُ مِنَ الْإِغْمَاءِ، وَقَدْ صَفَتِ السَّمَاءُ وَهَذَا الْبَحْرُ. كُنَّا مُرْتَمِينَ عَلَى الْعَوَامَةِ مُنْهَكِينَ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِلا نَوْمٍ. وَقَدْ حَمَلْنَا الْهَوَاءَ اللَّطِيفَ نَحْوَ السَّاحِلِ.

عَمَدْنَا، لَدَى وَصُولِنَا إِلَى الْيَابِسَةِ، إِلَى الرَّاحَةِ قَلِيلًا ثُمَّ تَفَقَّدَ أَحْوَالِنَا، كَانَ هَانِزِ الشُّجَاعُ قَدْ تَمَكَّنَ - خِلَالَ الْعَاصِفَةِ - مِنْ تَخْلِيصِ الْكَثِيرِ مِنْ أُمَّتَيْنَا؛ وَقَدْ بَقِيَ لَدَيْنَا، بِفَضْلِ إِقْدَامِهِ وَتَضَحِّيَّتِهِ، طَعَامٌ يَكْفِينَا مُدَّةَ شَهْرَيْنِ.

قَرَرْنَا أَنْ نَرْتَاحَ النَّهَارَ كُلَّهُ لِنَسْتَعِيدَ عَافِيَتَنَا قَبْلَ أَنْ نَقُومَ بِجَوْلَةٍ فِي الْأَرْضِ الَّتِي نَزَلْنَاهَا.

فِي الْيَوْمِ التَّالِي، تَوَغَّلْنَا لِمُدَّةِ نِصْفِ سَاعَةٍ، وَوَصَلْنَا إِلَى أَسْفَلِ سُفُوحِ سِلْسِلَةِ مِنَ
التَّلَالِ، وَكَانَ عَلَى الْأَرْضِ حَوْلَنَا الْكَثِيرُ مِنَ الْعِظَامِ الْقَدِيمَةِ الْمُبَيَّضَةِ وَكُلُّهَا ذَاتُ
أَحْجَامٍ ضَخْمَةٍ.

رَأَيْنَا تَارِيخَ الْحَيَاةِ عَلَى الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ مُتَمِّدًا أَمَامَنَا. فَقَدْ أَعْلَمَنِي عَمِّي أَنَّ تِلْكَ
الْعِظَامَ هِيَ لِحَيَوَانَاتٍ لَمْ يَعْذْ لَهَا وَجُودٌ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ. وَقَدْ تَمَلَّكْنَا شُعُورٌ
بِالْإِثَارَةِ وَالْفُضُولِ.

بَعْدَ مَسِيرِ مَسَافَةٍ مِيلٍ وَصَلْنَا طَرَفَ غَابَةِ غَرِيْبَةٍ، لَيْسَ لِأَشْجَارِهَا لَوْنٌ. وَلَمْ يَكُنْ فِي
لَوْنِ أَوْرَاقِهَا مَا يَمُتُّ إِلَى الْأَخْضَرِ بِصِلَةٍ، أَمَّا الْأَزْهَارُ فَكَانَتْ كُلُّهَا رَمَادِيَّةً. سَارَ عَمِّي
إِلَى دَاخِلِ تِلْكَ الْغَابَةِ وَتَبِعْتُهُ عَنْ كَثَبٍ، وَأَنَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ.

وُحُوشُ عَصْرِ الْجَلِيدِ

تَوَقَّفْتُ فَجْأَةً وَأَمْسَكْتُ عَمِّي إِذْ لَمَحْتُ شَكْلًا ضَخْمًا يَتَحَرَّكُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ. دَقَّقْتُ



النَّظَرَ فَإِذَا بِي أَرَى وَاحِدًا مِنْ فِئَلَةِ الْمَامُوثِ، تِلْكَ الْفِئَلَةُ الضَّخْمَةُ الْمُغَطَّاةُ بِالشَّعْرِ،
الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ فِي عَصْرِ الْجَلِيدِ! ثُمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ بَيْنَ الْأَشْجَارِ حَوَالِي
عِشْرِينَ مِنْهَا!

قال لي عمِّي: «هَيَّا، لِنَقْتَرِبْ مِنْهَا.»

فَاعْتَرَضْتُ قَائِلًا: «كَلَّا. وَلِمَ نَعْرِضُ نَفْسَيْنَا لِلْخَطَرِ؟ لَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ عَاقِلٍ أَنْ
يَقْتَرِبَ مِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ!»

وَأَجَابَنِي: «أَنْتَ مُخْطِئٌ يَا أَكْسِلَ. اُنْظُرْ إِلَى هُنَاكَ! إِنَّنِي أَرَى إِنْسَانًا مِثْلَنَا!»

وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى حَيْثُ يُشِيرُ عَمِّي أَتَقَنَّتُ صِحَّةً مَا يَقُولُ!

كَانَ هُنَاكَ، عَلَى بُعْدِ حَوَالِي رُبْعِ مِيلٍ مِنْ مَخْلُوقٍ أَشْبَهُ بِالْإِنْسَانِ مُتَّكِئٌ عَلَى جَذْعِ
شَجَرَةٍ. لَكِنَّ طُولَهُ كَانَ يَبْلُغُ حَوَالِي ١٢ قَدَمًا، وَكَانَ شَعْرُهُ طَوِيلًا وَمُشَعَّنًا كَشَعْرِ تِلْكَ
الْفِئَلَةِ الضَّخْمَةِ الَّتِي يَرَعَاهَا.

جَمَدْنَا هُنَاكَ بِلا حَرَاكَ. وَخَشِيتُ مِنْ أَنْ نُرَى فَهَتَفْتُ مَدْعُورًا: «فَلنَرْجِعْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْعَوَامَةِ.» وَلَمْ أَنْتَظِرْ جَوَابَ عَمِّي، بَلْ جَذَبْتُهُ وَأَخَذْتُ أَرْكُضُ. لَمْ يُنَاقِشْنِي عَمِّي هَذِهِ الْمَرَّةَ، فَرَحْنَا نَجْرِي مَدْعُورَيْنِ بِاتِّجَاهِ شَاطِئِ «بَحْرِ لِيدِنْبُرْكَ».

تَعَثَّرْتُ أَثْنَاءَ الْجَرْيِ وَوَقَعْتُ عَلَى الْأَرْضِ، وَقَدْ وَقَعَ نَظْرِي عَلَى شَيْءٍ مَعْدِنِيَّ يَلْمَعُ بَيْنَ الرَّمْلِ النَّاعِمِ. اقْتَرَبْتُ مِنْهُ فَوَجَدْتُ أَنَّهُ سَكِينٌ، فَأَرَيْتُهُ لِلْبُرُوفِ سُورِ.

سَأَلَنِي عَلَى الْفَوْرِ: هَلْ أَحْضَرْتَ هَذَا السَّكِينَ مَعَكَ؟

- أَنَا... كَلَّا. أَلَيْسَ لَكَ؟

- أَبَدًا. أَنَا لَمْ أَجْلُبْ شَيْئًا كَهَذَا؟ وَلَا هَانِزَ.

- إِنَّهُ لَشَيْءٌ غَرِيبٌ فِعْلًا!

عَلَامَةُ سَكُنُوسِم

أَطْرَقَ عَمِّي قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ بِهَدْوٍ: «إِذَا كُنَّا نَحْنُ لَمْ نُحْضِرْ هَذَا السَّكِينَ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ هُنَا مُنْذُ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ. لَا شَكَّ فِي أَنَّ أَحَدًا وَصَلَ قَبْلَنَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ!»

مَشِينَا بِمُحَاذَاةِ سِلْسِلَةِ الصُّخُورِ الْمُوَاجِهَةِ لِلشَّاطِئِ، وَلَدَى وُصُولِنَا إِلَى مَكَانٍ يُوجَدُ فِيهِ مَمَرٌ مُعْتَمٌ بَيْنَ الصُّخُورِ لَاحَظْتُ وُجُودَ عَلَامَةٍ مَا. دَقَّقْنَا النَّظَرَ، فَرَأَيْنَا الْحَرْفَيْنِ اللَّذَيْنِ كُنَّا قَدْ شَاهَدْنَاهُمَا مَرَّاتٍ عِدَّةَ ذَلِكَ: «أ. س.».

إِذَا فَقَدْ مَرَّ أَرْنِي سَكُنُوسِمَ مِنْ هُنَا قَبْلَنَا.

كُنْتُ، خِلَالِ الرُّحَلَةِ، قَدْ مَرَرْتُ بِمُفَاجَأَةٍ لَا تُحْصَى، خِلْتُ مَعَهَا أَنْ لَا شَيْءَ بَعْدَ يُمَكِّنُ أَنْ يُشْكَلَ لِي مُفَاجَأَةً. وَلَكِنِّي، لَدَى مُعَايِنَةِ هَذَيْنِ الْحَرْفَيْنِ، ارْتَعَشْتُ لِرُؤْيَا بَرْهَانٍ دَامِغٍ عَلَى وُصُولِ ذَلِكَ الرَّحَالَةِ الْعَظِيمِ إِلَى هُنَاكَ! وَهَا إِنِّي أُمْسِكُ بِيَدِي الْأَدَاةَ نَفْسَهَا الَّتِي حَفَرَ بِهَا اسْمَهُ!

نَسِيتُ كُلَّ الْأَهْوَالِ الَّتِي وَاجَهْتُنَا، وَلَمْ أَفَكِّرْ بِمَا قَدْ يَعْتَرِضُنَا فِي عَوْدَتِنَا. فَحَيْثُ ذَهَبَ

كَائِنْ بَشَرِيَّ قَبْلِي يُمَكِّنِي أَنْ أَذْهَبَ، وَلَا شَيْءَ مُسْتَحِيلٍ بَعْدَ الْآنَ. فَخَاطَبْتُ عَمِّي
بِحِمَاسٍ: «إِنَّ شَيْئًا رَائِعًا يَقُودُنَا الْآنَ. لِنُكْمِلَ طَرِيقَنَا.»

تَوَجَّهْنَا فَوْرًا إِلَى مَكَانٍ وَجُودِ الْعَوَامَةِ، وَأَحْضَرْنَا هَانِزَ اسْتِعْدَادًا لِإِكْمَالِ الرِّحْلَةِ
سَيْرًا. كَانَ سَكُنُوسِمَ قَدْ حَفَرَ الْحَرْقَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ اسْمِهِ عِنْدَ بَدَايَةِ الْمَمَرِّ الَّذِي
سَيَقُودُنَا أَخِيرًا إِلَى قَلْبِ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ.



النَّقْطُ الْمَسْدُودُ

دَخَلْنَا ذَاكَ النَّقْطَ الْمُظْلِمَ، وَلَكِنَّا لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَخْطُو أَكْثَرَ مِنْ سِتِّ خَطَوَاتٍ أَوْ سَبْعٍ، فَقَدْ اضْطَدَمْنَا بِصَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ تَسُدُّ الْمَمَرَّ وَتَضَعُ نِهَايَةَ غَيْرِ مُتَوَقَّعَةٍ لِمَسِيرَتِنَا.

أَصَبْتُ بِخَبِيَّةٍ أَمَلٍ كَبِيرَةٍ، حَتَّى إِنِّي رَفَضْتُ الْقَبُولَ بِفِكْرَةِ الْحَائِطِ الْمَسْدُودِ. وَانْحَيْتُ نَحْوَ الْأَرْضِ أَفْتَشُ عَنْ ثُغْرَةٍ مَا أَوْ شَقٌّ فِي ذَلِكَ الْحَائِطِ الصَّخْرِيِّ، وَلَكِنْ مِنْ دُونِ طَائِلٍ. ثُمَّ أَخَذْتُ أَتَسَاءَلُ: «هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ نَفْقِدَ الْأَمَلَ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنْ رِحْلَتِنَا؟»

عُدْنَا إِلَى الْعَوَامَةِ لِنَفَكِّرَ بِالْخَطْوَةِ التَّالِيَةِ. اقْتَرَحَ عَمِّي أَنْ نَسْتَعْمِلَ الْمِعْوَلَ لِنَفْتَحَ طَرِيقًا لَنَا فِي الصَّخْرِ، وَأَضَافَ: «يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الصَّخْرُ قَدْ سَدَّ النَّقْطَ بَعْدَ مُرُورِ سَكُنُوسِمٍ مِنْ هُنَا. عَلَيْنَا أَنْ نُعِيدَ فَتْحَ النَّقْطِ.»

فَسَأَلْتُهُ: «لِمَ لَا تُجَرِّبُ اسْتِعْمَالَ الْبَارُودِ؟ فَهُوَ أَفْعَلُ مِنَ الْمِعْوَلِ فِي هَذَا الصَّخْرِ الصُّلْبِ.»

تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَعَلَّقَ: «رَائِعٌ يَا بُنَيَّ، إِنَّهَا لِفِكْرَةٌ عَظِيمَةٌ.»

عِنْدَمَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ كُنَّا قَدْ أَعَدَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ، وَكَانَتِ الْمُتَفَجِّرَاتُ جَاهِزَةً فِي مَكَانِهَا، لَكِنْ عَمِّي أَصَرَ عَلَى الْإِنْتَظَارِ حَتَّى الْيَوْمِ التَّالِيِ.



في الصُّبْح، طَلَبْتُ مِنْ عَمِّي أَنْ أُشْعِلَ الْفَتِيلَ بِنَفْسِي. وهكذا ذَهَبْتُ فِي تَمَامِ
السَّادِسَةِ إِلَى فَتْحَةِ الْمَمَرِّ وَأَمْسَكْتُ طَرَفَ الْفَتِيلِ الْبَطِيءِ الْاشْتِعَالِ. وَسَمِعْتُ صَوْتَ
الْبُرُوفْسُورِ يَهْتِفُ: «هَلْ أَنْتَ جَاهِزٌ؟»

أَجَبْتُ: «نَعَمْ... الْآنَ»، وَأَشْعَلْتُ الْفَتِيلَ بِوَاسِطَةِ ثِقَابٍ.

ثُمَّ رَكَضْتُ عَائِدًا إِلَى مَتْنِ الْعَوَامَةِ حَيْثُ انْتِظَرْنَا بِكُلِّ لَهْفَةٍ. كَانَ عَمِّي يَحْسِبُ
الْوَقْتَ: «... لَقَدْ آتَى الْآنُ... خَمْسَةٌ... أَرْبَعَةٌ... ثَلَاثَةٌ... اِثْنَانِ... وَاحِدٌ. الْآنَ!»

عِنْدَهَا رَأَيْتُ شَكْلَ الصُّخُورِ يَتَغَيَّرُ أَمَامَ نَاضِرِي، فَقَدْ انْفَتَحَ الصَّخْرُ بِانْفِجَارٍ مُدَوٍّ
يُصِمُّ الْأَذَانَ. بَدَأَ أَنْ فَجْوَةً وَاسِعَةً شَقَّتِ الصَّخْرَ وَامْتَدَّتْ نَحْوَ الشَّاطِئِ. لَقَدْ اضْطَرَبَ
الْبَحْرُ وَشَكَلَ مَوْجَةً جَبَّارَةً حَمَلَتْ مَعَهَا الْعَوَامَةَ.

تَمَسَّكْنَا هَلِيعِينَ بِأَرْضِ الْعَوَامَةِ الَّتِي انْدَفَعَتْ إِلَى الْأَمَامِ. وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ أَصْبَحْنَا فِي وَسْطِ الظَّلَامِ، لَقَدْ حَمَلْنَا الْمَاءَ إِلَى دَاخِلِ الْفَجْوَةِ.

أَخَذَتِ الْعَوَامَةُ تَجْرِي بِنَا دَاخِلَ النَّقِ بِسُرْعَةٍ هَائِلَةٍ تَفُوقُ سُرْعَةَ سَيْرِ الْقِطَارِ. اِلْتَصَقْنَا بِأَرْضِ الْعَوَامَةِ وَقَدْ اقْتَرَبَ وَاحِدُنَا مِنَ الْآخِرِ وَتَمَاسَكْنَا بِالْأَيْدِي حَتَّى لَا تَزُلَّ عَنْهَا.

إِزْدَادَ هَلَعُنَا عِنْدَمَا اكْتَشَفْنَا أَنَّ مُعْظَمَ مَا كَانَ عَلَى الْعَوَامَةِ قَدْ وَقَعَ فِي الْمَاءِ: فَلَيْسَ هُنَاكَ مِنَ الْأَدَوَاتِ شَيْءٌ. أَمَّا الطَّعَامُ الَّذِي تَبَقَّى فَكَانَ يَكْفِينَا يَوْمًا وَاحِدًا فَقَطْ.

وَحَقِيقَةُ مَا حَصَلَ بِبَسَاطَةٍ هُوَ أَنَّ مَاءَ الْبَحْرِ قَدْ انْدَفَعَ إِلَى دَاخِلِ النَّقِ وَحَمَلْنَا مَعَهُ إِلَى أَعْمَقِ أَعْمَاقِ الْأَرْضِ. فَلَمْ أَتِمَّاكَ مِنَ التَّسَاوُلِ: «مَاذَا سَيَحِلُّ بِنَا؟ هَلْ سَأَرَى هَامْبُورْجَ ثَانِيَةً؟»

الْمِصْعَدُ الْمَائِيُّ

اِسْتَمَرَّ الْمَاءُ الْمُنْدَفِعُ يَسْحَبُنَا مَعَهُ سَاعَاتٍ وَسَاعَاتٍ. وَفِي حَوَالِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ بَعْدِ

الظَّهْرَ لَاحِظْنَا أَنَّ الصَّوْتِ الصَّاحِبَ قَدْ تَلَا شَيْءًا، وَأَنَّ هَدِيرَ الْمَاءِ قَدْ خَفَتْ. وَصَاحَ عَمِّي: «إِنَّا نَرْتَفِعُ صُعُودًا!»

وهذا ما كَانَ يَحْدُثُ بِالصَّبْطِ، إِذْ كُنَّا نَتَحَرَّكُ صُعُودًا بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ.
وَأَضَافَ عَمِّي: «هَذَا مَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُهُ. نَحْنُ الْآنَ فِي مَنْفَذِ بُرْكَانِيٍّ. لَقَدْ وَصَلَ الْمَاءُ إِلَى الْقَعْرِ، وَهِيَ هُوَ يَرْفَعُنَا بِفَضْلِ قُوَّةِ دَفْعِ تَيَّارِهِ. إِنَّا فِي مِصْعَدٍ مَائِيٍّ!»
فَسَأَلْتُهُ: «وإِلَى مَتَى سَيَظَلُّ هَذَا الْمِصْعَدُ يَعْلو بِنَا؟» وَأَجَابَنِي: «مَنْ يَدْرِي؟ يَبْدُو أَنَّا نَرْتَفِعُ بِسُرْعَةٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَدَمًا فِي الثَّانِيَّةِ، أَيُّ مَا يُوَازِي تِسْعَةَ أَمْيَالٍ وَنِصْفًا فِي السَّاعَةِ.»
مَرَّتْ سَاعَةٌ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ، وَأَخَذْنَا نُعَانِي مِنَ الْجُوعِ، لَكِنْ لَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ مِنَّا عَلَى لَمْسِ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ الْبَاقِي مَعَنَا. وَكُنَّا، كُلُّمَا صَعِدْنَا، نَشْعُرُ بِارْتِفَاعِ حَرَارَةِ الْهَوَاءِ حَوْلَنَا.

لَمْ يَنْطِقْ أَحَدُنَا بِأَيِّ كَلِمَةٍ. ثُمَّ تَنَاوَلْنَا آخِرَ وَجْبَةٍ طَعَامٍ لَدَيْنَا وَنَحْنُ صَامِتُونَ. وَقَدْ رَجَعْتُ بِي الذِّكْرِيَّاتُ إِلَى سَابِقِ عَهْدِي فِي هَامْبُورْجِ وَأَحْسَسْتُ بِأَنَّهُ مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ أُغَادِرَهَا.

تَضَايَقْتُ كَثِيرًا عِنْدَمَا ازْدَادَ ارْتِفَاعُ الْحَرَارَةِ، فَخَاطَبْتُ عَمِّي قَائِلًا: «إِنَّ هَذِهِ الصُّخُورَ -
يَا عَمِّي - حَارِقَةٌ! وَالْمَاءُ يَغْلِي.»

فَسَأَلَنِي مُسْتَعْرِبًا: «وَلِمَ تَشْكُو مِنْ ذَلِكَ؟»

- انْظُرْ يَا عَمِّي، انْظُرْ... الْجُدْرَانُ تَتَحَرَّكُ، وَالْمَاءُ تَحْتَنَا حَارِقٌ. وَمَا هَذِهِ إِلَّا دَلَائِلُ
عَلَى نَشَاطِ بُرْكَانِي، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَا بُدَّ أَنَّنَا فِي وَسْطِ بُرْكَانٍ مُشْتَعِلٍ!

فَأَجَابَنِي بِاسْمًا: «أَجَلُ يَا بُنَيَّ. إِنَّكَ عَلَى صَوَابٍ. وَقَدْ يَكُونُ هَذَا أَفْضَلَ حَلٍّ لَنَا
الآن.. إِنَّهُ أَمَلْنَا الْوَحِيدُ بِالْعُودَةِ إِلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.»

الْبُرْكَانُ يَلْفِظُنَا

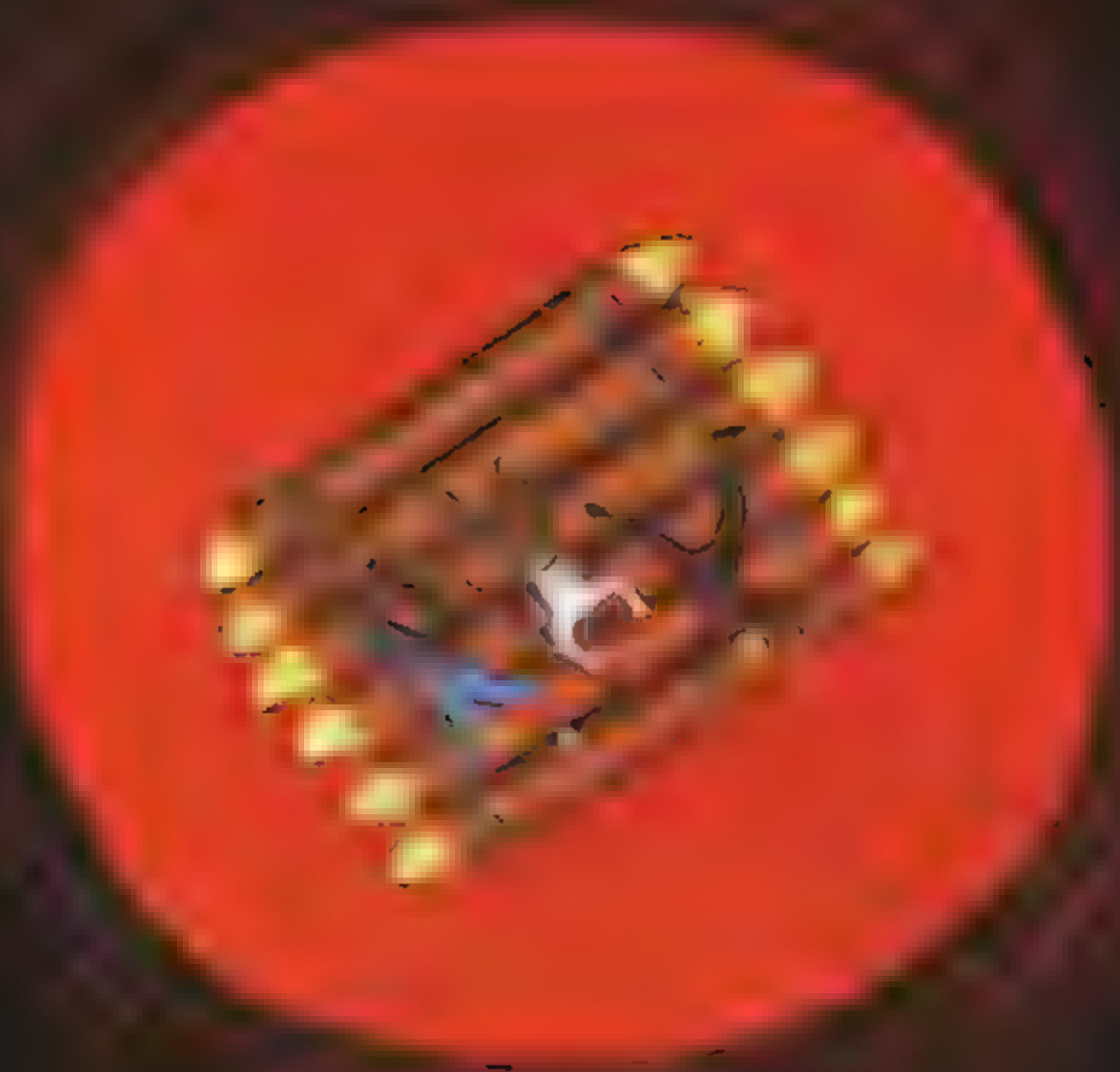
مَرَّ اللَّيْلُ وَنَحْنُ نَتَّجِهُ صُعودًا، وَبِعِبَارَةٍ أَدَقَّ: وَنَحْنُ نُقَذِفُ صُعودًا، وَذَلِكَ بِفَضْلِ
ضَغْطِ الْبُخَارِ وَالْمَاءِ وَالْحُمَمِ فِي ذَاكَ الْمَنْفَذِ الْبُرْكَانِيِّ الْعَمُودِيِّ. وَقَدْ أَطْبَقَ الْجَوُّ
الْعَابِقُ عَلَى صُدُورِنَا، فَصَعُبَ عَلَيْنَا التَّنَفُّسُ وَأَحْسَسْتُ بِدُنُوِّ سَاعَتِي.

فِي الصَّبَاحِ ازْدَادَتْ سُرْعَتُنَا، وَأَصْبَحَ الْحَرُّ لَا يُطَاقُ. وَلَمْ يَعُدْ تَحْتَنَا مَاءٌ وَإِنَّمَا حُمَمٌ
مُلْتَهَبَةٌ. بَعْدَ ذَلِكَ، بَدَأَتِ الْعَوَامَةُ تَهْتَرُ وَتَرْتَعِدُ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَدُورُ بِنَا فِي حَلَقَاتٍ.

لَقَدْ خَارَتْ قُوَايَ مِنْ ذَلِكَ الْجَحِيمِ النَّارِيِّ وَحَرَكَتِهِ الْعَنِيفَةِ، حَتَّى إِنَّنِي بَدَأْتُ أَشْعُرُ
أَنَّنِي أَقْتَرِبُ مِنَ الْإِغْمَاءِ. فَسَارَعَ هَانِزٌ إِلَى إِمْسَاكِ بَشَاتٍ وَمَنْعَنِ مِنَ الْارْتِطَامِ حِينَ
أَخَذَتِ الْعَوَامَةُ تَضْطَدِمُ بِجَوَانِبِ الْمَنْفَذِ.

لَسْتُ أَذْكُرُ بِوُضُوحٍ مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ: فَكُلُّ مَا أَذْكُرُهُ أَنَّنَا كُنَّا فِي خِصْمٍ دَوَامَةٍ نَارِيَّةٍ
صَاحِبَةٍ. ثُمَّ أَفْقَتُ، وَكَأَنِّي أَعُودُ مِنْ أَغْوَارِ كَابُوسٍ رَهيبٍ، وَوَجَدْتُ أَنَّنِي مُنْطَرِحٌ أَرْضًا
عَلَى سَفْحِ جَبَلِيٍّ وَقَدْ تَمَدَّدَ بِقُرْبِي كُلُّ مَنْ عَمِّي وَهَانِزٌ.

لَمْ أَصَبْ بِجُرُوحٍ بَلِيغَةٍ، إِنَّمَا كُنْتُ أَعَانِي مِنْ إِرْهَاقٍ شَدِيدٍ جِدًّا، وَكَذَلِكَ كَانَ رَفِيقَا
الرَّحْلَةِ.



لَا حَظُّتُ، بَعْدَ ذَلِكَ، أَنَّ السَّمَاءَ فَوْقَ رُؤُوسِنَا كَانَتْ سَمَاءً حَقِيقِيَّةً، وَلَيْسَتْ سَمَاءً مِنْ
صُخُورٍ. لَقَدْ رَأَيْنَا السَّمَاءَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بَعْدَ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ يَوْمًا، فَأَيَّقَنَا أَنَّنَا عُدْنَا إِلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ أَخِيرًا. وَلَكِنْ، فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ كُنَّا؟

لَا حَظُّ أَنْ أَرْضَ السَّفْحِ الْمُنْحَدِرِ تَحْتَنَا كَانَتْ جَافَّةً وَمُلَوَّحَةً (مُتَغَيِّرَةً اللَّوْنِ) يَفْعَلِ
حَرَارَةُ الشَّمْسِ. وَذَلِكَ يَعْنِي أَنَّنَا لَمْ نَكُنْ قَطْعًا فِي أَيْسَلَنْدَا.

عَلَى بُعْدِ حَوَالِي خَمْسِمِائَةِ قَدَمٍ كَانَ فَوْقَنَا فُوْهُهُ الْبُرْكَانِ الَّتِي لُفِظْنَا مِنْهَا. وَكُنَّا
نَسْمَعُ، كُلَّ حَوَالِي عَشْرِ دَقَائِقَ، صَوْتَ انْفِجَارٍ كَبِيرٍ يَعْقُبُهُ تَطَائُرُ صُخُورٍ وَحِجَارَةٍ،
وَكُنْتُ أُحِسُّ بِالتَّحَرُّكَاتِ الْبُرْكَانِيَّةِ فِي الْأَرْضِ تَحْتِي.

أَمَّا الْمِنْطَقَةُ الْمُحِيطَةُ بِنَا فَكَانَ فِيهَا غَابَاتٌ وَبَسَاتِينُ خَضِرَاءُ، وَقَدْ ظَهَرَ بَعْدَهَا الْبَحْرُ
الْأَزْرَقُ، وَإِلَى الشَّرْقِ بَدَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْيُوتِ.

لَقَدْ كُنَّا عَلَى جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ، وَرَأَيْتُ فِي الْبَحْرِ بِضْعَ سُفُنٍ رَاسِيَةٍ فِي مِينَاءٍ صَغِيرٍ،
وَكَانَتْ أَشْكَالُ هَذِهِ السُّفُنِ غَيْرَ مَأْلُوفَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ.



رَأَيْنَا، فِي الْبَحْرِ الْمُتْرَامِي، عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْجُزُرِ. لَقَدْ كَانَ الْمَنْظَرُ بِالْفِعْلِ خَلَابًا.
فَكَرْتُ فِي نَفْسِي: «لَا بُدَّ أُنَّا فِي آسِيَا، عَلَى شَوَاطِئِ الْهِنْدِ أَوْ إِحْدَى جُزُرِ الْمَلَايُو.
لَقَدْ اجْتَرْنَا نِصْفَ الْعَالَمِ لِنَخْرُجَ مِنَ الْجِهَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ. إِنَّا...»
إِنْقَطَعَ حَبْلُ أَفْكَارِي عِنْدَمَا سَمِعْتُ عَمِّي يَقُولُ: «أَيَّا كَانَ هَذَا الْجَبَلُ، فَخَنُ فِي
مَكَانٍ شَدِيدِ الْحَرِّ عَظِيمِ الْخَطَرِ. لَقَدْ خَرَجْنَا سَالِمِينَ مِنْ قَلْبِ بُرْكَانٍ ثَائِرٍ، فَهَلْ يُعْقَلُ
أَنْ نَمُوتَ الْآنَ مِنْ جَرَاءِ وَقُوعِ الصَّخْرِ عَلَى رُؤُوسِنَا؟ فَلَنْتَزِلِ السَّفْحَ وَنُحَاولُ أَنْ
نَعْرِفَ أَيْنَ نَحْنُ. ثُمَّ إِنِّي أَكَادُ أَمُوتُ جُوعًا وَعَطَشًا.»

الْعُودَةُ إِلَى الْمَدْنِيَّةِ

بَدَأْنَا انْحِدَارَنَا نَحْوَ الْعُمُرَانِ الْبَشَرِيِّ، وَكَانَ فُطُورُنَا بَعْضَ الثَّمَارِ قَطَفْنَاهَا مِنْ
الْأَشْجَارِ الَّتِي مَرَزْنَا قُرْبَهَا. وَقَدْ وَجَدْنَا مَاءً أَيْضًا، فَشَرَبْنَا وَارْتَوَيْنَا، وَاعْتَسَلْنَا، فَعَادَ إِلَيْنَا
الشُّعُورُ بِالْإِنْتِعَاشِ، وَهُوَ مَا افْتَقَدْنَاهُ لِزَمَنِ طَوِيلٍ.

رَأَيْنَا، فَجْأَةً، فَتَاةً بَيْنَ الْأَشْجَارِ، فَاقْتَرَبَ مِنْهَا عَمِّي وَسَأَلَهَا بِلُطْفٍ: «يَا صَدِيقَتِي
الصَّغِيرَةَ، مَا اسْمُ هَذَا الْبَلَدِ؟» ظَلَّتِ الْفَتَاةُ صَامِتَةً لِأَنَّهَا لَمْ تَفْهَمْ مَا قَالَهُ. فَأَخَذَ يَسْأَلُهَا
السُّؤَالَ نَفْسَهُ بَعْدَ لُغَاتٍ يُتَقَنَّهَا، إِلَى أَنْ أَجَابَتْ عِنْدَمَا طَرَحَ السُّؤَالَ بِالْإِيطَالِيَّةِ.

عَلِمْنَا أَنَّ اسْمَ الْجَزِيرَةِ هُوَ «سترومبولي»، فَأُنْكَشِفَتِ الْحَقِيقَةُ الْمُذْهِلَةُ أَمَامَنَا: كُنَّا فِي جَزِيرَةٍ تَقَعُ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ.. لَقَدْ كَانَ خُرُوجُنَا الْمُبِيرُ مِنْ بُرْكَانِ «سترومبولي» الشَّهِيرِ. وَالتَّلَالُ الثَّلَاثُ الَّتِي بَدَتْ نَاحِيَةَ الشَّرْقِ هِيَ جِبَالُ «كالابريا». أَمَّا الْبُرْكَانُ الْآخَرُ الَّذِي رَأَيْنَاهُ بَعِيدًا نَاحِيَةَ الْجَنُوبِ فَكَانَ بُرْكَانَ «إِتْنَا»!

يَا لِلرَّحَلَةِ الْمُذْهِشَةِ الَّتِي قُمْنَا بِهَا! دَخَلْنَا مِنْ بُرْكَانٍ وَخَرَجْنَا مِنْ بُرْكَانٍ آخَرَ! وَهَذَا الْآخِرُ يَبْعُدُ عَنْ بُرْكَانِ سَنِفِلَزْ، أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ مِيلٍ. لَقَدْ غَادَرْنَا الْبِلَادَ الْجَلِيدِيَّةَ الْجَرْدَاءَ وَوَصَلْنَا إِلَى إِحْدَى أَجْمَلِ بِلَادِ الْأَرْضِ.

سِرْنَا نَحْوَ الْبَلَدَةِ الصَّغِيرَةِ، وَقَدْ قَرَّرْنَا أَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ إِخْفَاءَ حَقِيقَةِ رِحْلَتِنَا عَنِ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ لَنْ يُصَدِّقُونَا وَلَنْ يَفْهَمُونَا، لِذَا ادَّعَيْنَا أَنَّنَا بِحَارَةٌ وَأَنَّ مَرْكَبَنَا قَدْ غَرِقَ.

كَانَ اسْمُ الْبَلَدَةِ «سَان فُنْشَنُزُو»، وَقَدْ رَحَّبَ أَهْلُهَا بِنَا، فَقَدَّمُوا لَنَا الْمَأْوَى وَالطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، وَعَامَلُونَا بِلُطْفٍ. أَمْضَيْنَا فِي الْبَلَدَةِ يَوْمَيْنِ ارْتَحْنَا خِلَالَهُمَا وَاسْتَعَدْنَا عَافِيَتَنَا. وَهَكَذَا تَمَكَّنَّا، فِي الرَّابِعِ مِنْ سِبْتَمْبَرٍ، مِنَ الْإِبْحَارِ نَحْوَ «مَرْسِيلِيَا» الْوَاقِعَةِ عَلَى السَّاحِلِ الْفَرَنْسِيِّ. وَمِنْ هُنَاكَ سَافَرْنَا إِلَى هَامْبُورْجِ الَّتِي وَصَلْنَاهَا فِي التَّاسِعِ مِنْ سِبْتَمْبَرِ لَيْلًا.

أَحْدَثْتُ عَوْدَةَ الْبُرُوفْسُورِ لِيدَنْبُرْكِ ضَجَّةٍ كُبْرَى فِي هَامْبُورْجِ. كَانَ جَمِيعُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، سَابِقًا، قَدْ سَمِعُوا بِنَيْتِهِ فِي الْقِيَامِ بِرِحْلَةٍ إِلَى قَلْبِ الْأَرْضِ، وَلَمْ يُصَدِّقْ مُعْظَمُ النَّاسِ آنَذَاكَ أَنَّ هَذَا مُمَكِّنٌ. وَهَكَذَا، عِنْدَمَا رَأَوْهُ ثَانِيَةً بَيْنَهُمْ سَالِمًا، فَإِنَّ الْمُسَكِّكِينَ أَزْدَادُوا شُكًّا.

وَلَكِنْ، نَظَرًا لَوْجُودِ هَانزِ مَعَنَا، وَاسْتِنَادًا إِلَى الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ مِنْ أَصْدِقَائِنَا فِي أَيْسَلَنْدَا، صَدَّقَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ رِحْلَتَنَا كَانَتْ حَقِيقَةً. وَهَكَذَا أَصْبَحَ عَمِّي شَخْصًا مَشْهُورًا، وَنَلْتُ أَنَا كَذَلِكَ نَصِيبًا مِنْ هَذِهِ الشُّهُرَةِ.



لِذَلِكَ أَقِيمَ حَفْلُ عِشَاءٍ كَبِيرٍ تَكْرِيمًا لَنَا وَتَرْحِيبًا بِعُودَتِنَا. وَكَانَ لَنَا، فِي الْيَوْمِ التَّالِي، لِقَاءٌ حَاشِدٌ فِي جَامِعَةِ هَامْبُورْج، شَرَحَ خِلَالَهُ عَمِّي تَفَاصِيلَ رِحْلَتِنَا كَامِلَةً.

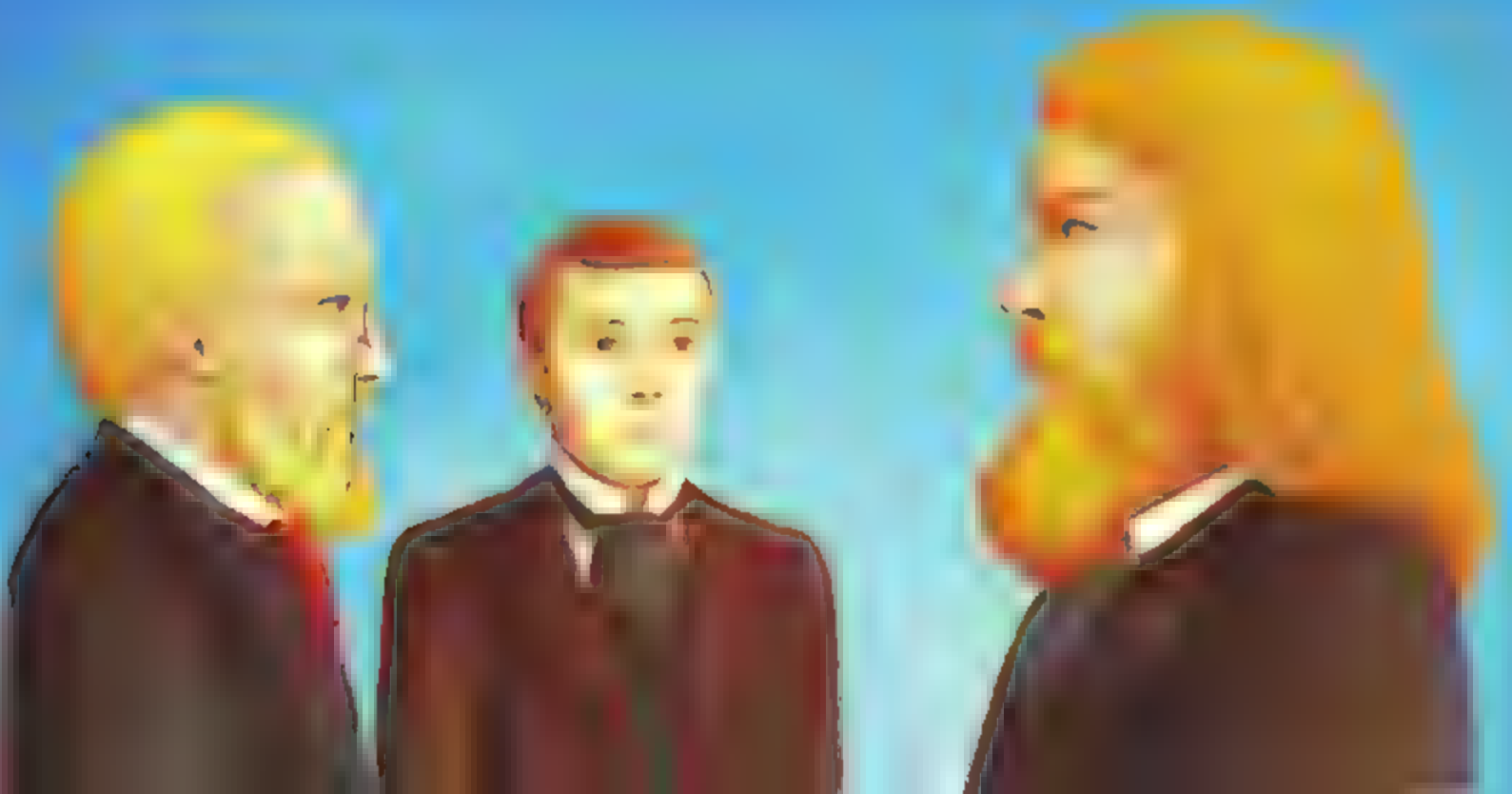
وَفِي الْيَوْمِ نَفْسِهِ، قَدَّمَ هَدِيَّةً لِلْمَكْتَبَةِ الْعَامَّةِ فِي الْمَدِينَةِ هِيَ الْوَرَقَةُ الْمَخْطُوطَةُ بِيَدِ سَكْنُوسِم.

وَقَدْ ذَاعَ صَيْتُنَا وَعُرِفَ اسْمِي وَاسْمُ عَمِّي فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْعَالَمِ لِأَنَّا قُمْنَا بِاِكْتِشَافِ عِلْمِي هَام.

وَلَكِنْ مَا أَزْعَجَنَا هُوَ أَنَّ صَدِيقَنَا الْعَزِيزَ هَانزَ أَغْرَبَ عَنْ رَغْبَتِهِ فِي الْعُودَةِ إِلَى أَيْسَلَنْدَا. حَاوَلْنَا أَنْ نُقْنِعَهُ بِإِطَالَةِ إِقَامَتِهِ مَعَنَا، لِأَنَّا شَعَرْنَا بِأَنَّا لَمْ نَكُنْ قَدْ وَفَّيْنَاهُ بَعْدُ كُلَّ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ تَكْرِيمٍ عَرَفَانَا بِجَمِيلِهِ وَإِقْرَارًا بِفَضْلِهِ، فَنَحْنُ مَدِينُونَ لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ: بِنَجَاحِنَا وَسَلَامَتِنَا وَحَيَاتِنَا.

لَكِنَّهُ كَانَ مُصَمِّمًا عَلَى الْعُودَةِ لِشَوْقِهِ إِلَى عَائِلَتِهِ، لِذَا احْتَرَمْنَا رَغْبَتَهُ تِلْكَ، فَوَدَّعْنَاهُ بِتَأَثُّرٍ بِالْبَيْعِ وَبِتَحَسُّرٍ عَلَى فِرَاقِهِ.

وَمَعَ أَنَّ هَانزَ الْيَوْمَ بَعِيدٌ عَنَّا، فَإِنَّا لَنْ نَنْسَاهُ أَبَدًا، وَلَا بُدَّ أَنْ أَقُومَ يَوْمًا بِزِيَارَةِ ذَاكَ الْإِنْسَانِ الشَّهْمِ الَّذِي أَنْقَذَ حَيَاتِي مِنَ الْهَلَاكِ.





جول فِرْن (١٨٢٨ - ١٩٠٥)

يُعتَبَرُ جول فِرْن أَحَدَ كِبَارِ رُؤَادِ الْقَصَصِ الْعِلْمِيِّ.

وُلِدَ فِرْن سَنَةَ ١٨٢٨ فِي مَدِينَةِ نَانت. بَدَأَ بِدِرَاسَةِ الْحُقُوقِ فِي بَارِيسَ، وَلَكِنْ اِهْتِمَامَاتِهِ الرَّئِيسَةَ تَوَزَّعَتْ بَيْنَ تَأْلِيفِ الْأُوبرِيَتَاتِ وَمُتَابَعَةِ السُّوقِ الْمَالِيَّةِ.

كَانَ ذَا مَقْدِرَةٍ فَائِقَةٍ فِي كِتَابَةِ قِصَصٍ تَدُورُ حَوْلَ رِحَالَاتٍ خَيَالِيَّةٍ. وَقَدْ تَطَوَّرَتْ هَذِهِ الْمَوْهَبَةُ بِسُرْعَةٍ. حَتَّى إِنَّهُ، بَيْنَ الْعَامَيْنِ ١٨٦٢ وَ ١٨٧٢، أَلَّفَ أَرْوَاعَ رِوَايَاتِهِ: «خَمْسَةُ أَسَابِيعٍ فِي مُنْطَاد» (١٨٦٢)، وَ«رِحْلَةٌ إِلَى قَلْبِ الْأَرْضِ» (١٨٦٤)، وَ«مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْقَمَرِ» (١٨٦٥)، وَ«عِشْرُونَ أَلْفَ فَرَسَخٍ تَحْتَ الْبَحْرِ» (١٨٦٩)، وَ«حَوْلَ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا» (١٨٧٢). وَقَدْ نَقَلَتِ السِّينِمَا مُعْظَمَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ فِي أَفْلَامٍ مُثِيرَةٍ وَنَاجِحَةٍ.

أَصَابَ فِرْن شُهْرَةٌ وَاسِعَةٌ خِلَالَ حَيَاتِهِ، وَعَاشَ حَيَاةَ أَدِيبٍ نَاجِحٍ وَثَرِيٍّ بَيْنَ بَارِيسَ وَ«أَمِيَان» وَيَخْتِهِ الْخَاصَّ فِي الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ.

تُوفِّيَ جول فِرْن فِي «أَمِيَان» سَنَةَ ١٩٠٥.



كتب الفراشة – القصص العالمية

- | | |
|-----------------------------|---|
| ١ - الدكتور جيكل ومستر هايد | ١٣ - حَوَلِ الْعَالَمِ فِي ثَمَانِينَ يَوْمًا |
| ٢ - أوليفر تويست | ١٤ - رِحْلَةٌ إِلَى قَلْبِ الْأَرْضِ |
| ٣ - نِدَاءُ الْبَرَارِيِّ | ١٥ - كُنُوزُ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ |
| ٤ - موبى ديك | ١٦ - سَايْلِس مَارْتَر |
| ٥ - الْبَحَار | ١٧ - شِيرْلِي |
| ٦ - الْمَخْطُوف | ١٨ - رِحَلَاتُ جَالِيْفَر |
| ٧ - شَبَحَ بِاسْكَرْفِيل | ١٩ - بَعِيدًا عَنْ صَخْبِ النَّاسِ |
| ٨ - قِصَّةُ مَدِينَتَيْنِ | ٢٠ - مُغَامِرَاتُ هَاكَلْبِرِي فِين |
| ٩ - مُونْفَلِت | ٢١ - دِيْقِيدُ كُوْبَرْفِيلْد |
| ١٠ - الشَّبَاب | ٢٢ - الْبَيْتُ الْمُوحِشُ (بَلِيكْ هَاؤُس) |
| ١١ - عَوْدَةُ الْمُوَاطِنِ | ٢٣ - الْمَهْرُ الْأَسْوَدُ (بَلَاكْ بِيُوتِي) |
| ١٢ - الْفُنْدُقُ الْكَبِيرُ | |



كتب الفراشة

القِصص العالَمِيَّة ١٤. رِحْلة إلى قَلْب الأرض

«رِحْلة إلى قَلْب الأرض» هي رِحْلة مُشوّقة إلى عالَم عَجيب قائم في جَوْف الأرض: فَمِنْ أَنْفاقِ المَنافذِ البُرْكانِيَّةِ وَمَتَاهَاتِ المَمَرَّاتِ الجَوْفِيَّةِ إلى غَابَاتٍ مِنْ فُطورِ عِمْلَاقَةٍ وَبِحَارٍ مُتْرَامِيَّةِ الأَطْرافِ تَحْتَ قُبِّ سَمَويَّةٍ ذاتِ أنوارٍ غَرِيبَةٍ، بِالإِضافةِ إلى حَيَواناتٍ ضَخْمَةٍ انْقَرَضَتْ مِثْلَاتها عَن وَجْهِ الأرضِ مِنْذُ آلافِ السِّنِينَ...

هذا العالَمُ الأَخَازِ هو مَسْرَحٌ لِمُغامَرَةٍ تَفُوقُ كُلَّ تَصَوُّرٍ، نَعِيشُها، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ، مَعَ أَبطالِ جُولِ فِرْنِ رائِدِ القِصصِ العِلْمِيِّ الخياليِّ ومُغامراتِ الأسفارِ والاسْتِكْشافاتِ.



مكتبة لبنان ناشرون



01C196819